الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلة -

معهد الآداب واللغات

ميدان اللغة والأدب العربي

المرجع / .....

عنوان المذكرة:

خطاب الهوية في إبداعات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:

- بوهالي هاجـر
- كويتر فاطـمة

إشراف الأستاذة:

- سعاد الوالـــي

السنة الجامعية: 2012- 2013.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

يا منزل الآيات والفرقان اشرح صدرنا لمعرفة الهدى واعصم قلبنا من الشيطان أنت يا من صورتنا وخلقتنا نسألك النجاح يا رحمان فبرحكمتك التي آتيتني شددت بنورك برهاني ولا أكسو عيوب نفسي بتقواي وفي العلم أشد عناني ولا أمنعن النفس عن شهواتها واجعلن الدعاء من أعواني ولأتلون حروف وحيك بالدجى ولأحرقن بنوره شيطاني أنت الذي يا رب قلت حروفه وجعلته أية في التبيان ونظمته ببلاغة أزلية تكفيها يخفى على الأذهان قم بالقرآن وعرف قدره فله عند الله أعظم شأن .

نتقدم بجزيل الشكر إلى التى قدمت لنا يد العون والمساعدة والتى لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة وإمدادنا بكل المراجع التى تتعلق بهذا البحث والتى استطعنا بفضل الله تعالى وبفضلها تقديم هذا البحث المتواضع

*إلى أستاذتنا ومشرفتنا الفاضلة *** سعـــــاد الوالـــــي ****

ونقول : إليك منا جزيل الشكر وعظيم الامتنان على كل شيء وإلى أساتذة معهد الآداب واللغات منهم

**** طبيـــــــش عبد الكريـــــم*

**** بوعجاجـــــة سليـــــــــم*

مقدمة :

إن الهوية كيان يجمع بين انتماءات متكاملة ؛ وهوية المجتمع تمنح أفراده مشاعر الأمن والإستقرار والطمأنينة ؛ فالهوية القومية تمنح أبناء الأمة الشعور بالثقة فهي تجعل من الشخصية الإنسانية محورًا أساسيًا لكثير من عملها ؛ سواء في ذاته أو علاقاته مع الآخرين فقد كانت الهوية أو الشخصية الجزائرية من أهم المحاور التي وضعتها فرنسا في مخططاتها من أجل تحطيمها والقضاء عليها ؛ بإعتمادها عدة طرق كمنع تدريس اللغة العربية ؛ ونشر اللغة الفرنسية وإعتبارها لغة رسمية ؛ والقضاء على الدين ؛ من خلال نشر أفكار خاطئة عنه ؛ ولكن الشعب الجزائري وخاصة المثقف منه وبعض من علمائه كانوا لها بالمرصاد...وفي ضوء ما نتحدث به عن هؤلاء العلماء والباحثين نجد سؤالاً يطرح نفسه : ما هي الطرق التي اعتمدها في الدفاع والتمسك بمبادئ وأصول الشخصية الجزائرية ومن أهم هؤلاء المصلحين ؟ وما هي النتائج التي استطاعوا التوصل إليها ضد فرنسا وكل من يحاول القضاء على هذه الشخصية القومية ؟ .

ولهذا كان موضوع بحثنا هو " خطاب الهوية " وقد خصصنا بالدراسة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ومدى اعتنائه بهذا الموضوع وخاصة عند الشباب الجزائري لأنه اعتبره النواة الأولى من أجل نمو صحيح وإعطاء ثمار طازجة تستطيع المحافظة على هذا الوطن .

ولعلى السبب الذي دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع ؛ وكلنا ثقة فيه ؛ هي قلة الدراسات التي تتناول مواضيع الشعب الجزائري وتمسكه بوطنه رغم كل الصعوبات التي واجهته ؛ وخاصة الشباب الجزائري ولعلى ما زادنا حماسة للبحث في هذا الموضوع هو اهتمام وتشجيع الأستاذة المشرفة على البحث فيه .

ولتحقيق الهدف الذي توخيناه من هذا البحث اعتمدنا على خطة مكونة من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة ؛ في المدخل تحدثنا عن الشباب الجزائري في فكر البشير الإبراهيمي ؛ بينما تناول الفصل الأول الخطاب والهوية بين(الماهية والنشأة) مع الإشارة إلى الخطاب الإصلاحي في الجزائر ولدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكذلك الهوية في الحقول المعرفية الأخرى .

بينما خصصنا الفصل الثاني دراسة لخطبة البشير الإبراهيمي عن الشباب وقد اعتمدنا ناحيتين في دراستنا التطبيقية ؛ الناحية الشكلية وتحدثنا عن اللغة وعن أفكار وأسلوب الإبراهيمي ؛ أما من ناحية المضمون درسنا الإلتزام ؛ ودرسنا بين النزعتين الخطابية والعقلانية والإقتباس والمحسنات البديعية .

وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التى توصلنا إليها ؛ بالإضافة إلى ملحق تحدثنا فيه عن حياة الإبراهيمي ومشواره العلمي وأما المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو كل من المنهج التاريخي والمنهج الفني ؛ فقد رأينا أنهما الأنسب للتعامل مع هذا الموضوع .

وعلى الرغم من الصعوبات التى واجهتنا خلال بحثنا هذا والمتمثلة في كون مادة هذا البحث قليلة وأن جلّ الجرائد والمجلات التى تضمنت إبداعات الإبراهيمي نادرة جدا ومحدودة بالكم والمكان وهو يجعل التعامل معها أمر صعب المنال ؛ واجهتنا مصاعب قلة المراجعة مما زاد من معانات البحث والتنقل بين الجامعات المجاورة إلا أننا – بتوفيق من الله – أتممنا هذا العمل المتواضع الذي ما هو إلا حصيلة جهد مقل ؛ نرجو أن نكون قد أضفنا شيئا – ولو بالقدر اليسير– إلى الأدب بصفة عامة وإلى الأدب الجزائري بصفة خاصة .

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في تزويدنا بالمعرفة وتحفيزنا على الدراسة والبحث ؛ خاصة الأستاذة والمؤطرين في معهد الآداب واللغة العربية هذا دون أن ننسى التقدم بالشكر والعرفان للأساتذة المشرفة التى كان لها الفضل الكبير في إنجازنا لهذا البحث حفظها الله ووفقها إلى خدمة العلم وجزاها عنا خير جزاء ولها منا فائق عبارات التقدير والإحترام .

مدخل

التوجيه القرآني نحو الشباب

لا يخفى على أحد موقع الشباب في مسار الحركة الحضرية في المجتمع سواء أكان ذلك في إطار الإنجازات الفكرية والعلمية ؛ أو في ميدان الاقتصاد والعمران والتقدم التقني أو في حقل الفنون وما يقدم ذلك من إبداعات .

الشباب تعبير عن القوة ؛ والتطلع إلى الأمام ؛ فهم عزيمة لا يستغنى عنها كونهم الركيزة الأساسية التطور ؛ وهم المستقبل الواعد في الأمم والشباب يبدأ من البلوغ ؛ والإنسان عندما يبلغ يكون قد امتلك القدرة على العطاء لذلك يكون من المهم توظيف طاقاته ؛ ورسم الخطط لتوجيه قدراته وحيويته باتجاه مفيد ويشير إلى ذلك النص القرآني من خلال قصة ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام ؛ فالأب الذي تقدم في السن ولم يكن له ولد قد استجاب الله تعالى لدعائه ؛ وطلبه ؛ فكان له غلام موصوف بالحلم هو إسماعيل ؛ وما أن شب هذا الفتى وأصبح قادرا على أداء دوره والقيام بمهام وأعباء ككل إنسان ؛ إذا بإبراهيم عليه السلام يكلفه من أعباء الحياة ما يكلف به كل الناس في هذا السن ؛ ويظهر ذالك جليا في نص الآية " فلما بلغ معه السعي " وعند هذا الحد من مسيرة الحياة كان الأمر الذي هو بلاء عظيم كما نص كلام الله تعالى ؛ والأمر هو أن يذبح الخليل وحيده وولده الذي جاءه بعد أن طعن في السن ؛ وتوجه إلى الذبيح يعرض عليه الأمر وفي هذا إشارة إلى أن أول الشباب عند بلوغ السعى يرافقه قدر مهم من الوعي ؛ وإلا لما كلفه الله تعالى مثل هذا المستوى من البلاء العظيم لإسماعيل ؛ وفي الوجه الأخر ما كان الأب إبراهيم ليعرض الأمر على إسماعيل بأمر إلهي لو علم أنه لا يستطيع اتخاذ الموقف ؛ فكان الأمر وقد أخبرتنا الاية الكريمة القصة " فَلَمَا بَلَغَ مَعْهُ السَّعَي قَالَ يَاْ بُنَي إِنِي أَرَىْ فَيْ الْمَنَامِ أَنَي أَذْبَحُكَ فَانْظُر مَاْذَا تَرىَ قَالَ يَاْ أَبَتِ اِفْعَل مَاْ تُؤمَر سَتَجِدُنِي إِنْ شَاْءَ الله مِنْ الصَابِرِينْ"[1] .

[1] - الصافات / 102 .

هذا هو الشباب الذي حددّته قصة الذبيح ؛ إنه الحيلم والطاعة لله تعالى والوالدين وإنه اتخاذ القرارات الصعبة في المواقف الحرجة والظروف المعقدة .

والشباب لا يصل إلى هذا المستوى من التميز الذي يرضي الله تعالى إلا إذا حصل كل شاب على سبل الرشاد وسار على الطريق المستقيم ؛ وهذا ما كان عليه الفتية في أهل الكهف عندما جاءهم البلاء وقسى عليهم القوم ؛ وفروا بدينهم حتى إذا كان المخرج بدخول الكهف ووجدنا النص القراني يحكي لنا حالهم ويبلغنا مطلبهم قال الله تعالى " إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلىَ الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبنَا أَتِنَا مِنْ لُدُنكَ رَحمَةً وَهيِّء لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدا "[2] وهنا يأتي التأكيد على النضج الذي يكون للشباب الذين ساروا في الطريق الصحيح ؛ وهؤلاء الفتية موصفون بالهدى والهدى قرين دين الحق وقال فيهم الحق سبحانه وتعالى " نَحنُ نَقُص عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِ إِنْهُمُ فِتيةٌ اَمنُوا بِرَبِهم فَزِدَنَاْهُمُ هُدَى "[3] ونستفيد من قصتي اسماعيل وفتية الكهف قواعد رئيسية ومنطلقات ضرورية لإعداد الشباب .

التربية والشباب في رأس اهتمامات الإبراهيمي و .ج . ع . م . الجزائريين :

عندما قرر الإمام الإبراهيمي رحمه الله ؛ مع الكوكبة الأولى من رفاقه تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك في عام 1931 م .

كان لقرار تأسيس الجمعية في أساسه هدف ؛ وكان الهدف هو الشباب والتربية لأنهم أدركوا أن النهوض بواجب تحرير الجزائر من الإستعمار الفرنسي الذي كان قد مضى عليه قرن من الزمان يوم تأسيس الجمعية وبعدها تطوير المجتمع والنهوض بواجب التنمية في مختلف

[2] - الكهف / 10 .
[3] - الكهف / 13 .

الميادين لا يكون إلآ إذا تحقق أمر به يكون التحرير ؛ وبه يكون التقدم إنه تنشئة جيل في الوطن الجزائر وتاليا في الأمة كلها يملك من المؤهلات والطاقات ؛ والمواهب ما يمكنه من صناعة المستقبل الأفضل ؛ إنه جيل آمن بالله تعالى والتزم الكفاح والعمل حتى النصر وتحقيق التقدم .

هذا الجيل تنطلق عملية تثقيفه' وإعداده من منطلقات ثلاثة هي كما حددتها الجمعية :

الإسلام ديننا ؛ والعربية لغتنا ؛ الجزائر وطننا .

إن دعوة الإبراهيمي إلى ابناء وطنه وأمته قامت على تحديد الواجبات بما يلي :

التعاون وهجر التخاذل والتعاهد على الإستماتة في سبيل جقوقنا .

لكن ذلك عنده لا يتوفر إلا إذا عملنا تربويا لتأسيس مجتمع هذه مفاهيمه وقد قال الإبراهيمي " نحتاج في الدرجة الأولى إلى تكوين اجتماع حيوي منتج ... الحق الذي لا مراء فيه أنه لا يوجد عندنا اجتماع منتج بالمعنى الذي نريده ويمتناه العقلاء منا والمفكرون ...إذن نحن محتاجون إلى تكوين اجتماع خاص تنتج عنه نهضة منظمة في جميع لوازم حياتنا القومية وألزم هذه اللوازم أربع هي : الدين ؛ الأخلاق ؛ والعلم ؛ والمال "[4] .

إن الحركة العلمية التى دعى إليها الإبراهيمي هي تلك التى يتوزع فيها الإهتمام على الإعداد الخلقي السليم والديني والبعد عن المتاجرة والمفاهيم الخاطئة مع تنوع الإختصاصات كي يلبي حاجات المجتمع في مختلف الوجوه الروحية ؛ والقيمة الإجتماعية والمادية ؛ لذلك وجه الشباب إلى هذا الإتجاه عندما صرح بأنه يفضل : " بلدة فيها عشرة مرشدين دينيين ؛ وعشرة أدباء ؛ وعشرة أطباء على بلدة فيها ثلاثمائة طبيب لأن الأدباء يرفقون عواطفهم فتميل إلى الروحيات فتقل الأمراض ؛ والمرشدون يعلمونها القصد في الأكل واللذات ؛ ويحضونها على

1 - الإبراهيمي ؛ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ؛ أثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ؛ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ؛ د ط ؛ 1987 ؛ ج 1 ص 9/8 .

النظافة فهؤلاء أطباء ؛ ولكنهم يداوون المرض قبل وقوعه فإذا أفلت واحد دواه الأطباء المعروفون "[5] .

إن الأصل في الإجتماع البشري الناجح أن يتكامل أفراده لا أن يتماثلوا لأن التكامل يلبي الحاجات المتعددة والمتنوعة ؛ وهذا هو الواجب في توجيه مسار حركة الإعداد وتربية الناشئة والوجه الآخر للموضوع هو ما يعرف بالوقاية التى قيل فيها عند العرب في حكمهم " درهم وقاية خير من قنطار علاج " .

إن هذا المسار التربوي السليم يحتاج توجيه العناية إلى فريقين هما :

1- المعنيون بالعملية التربوية والتعليمية : أي الأساتذة والمدرسون لأنه من الصعوبة لمكان أن يؤدي المهمة من يفتقد مقوماتها ؛ وكما قيل في الأمثال الشائعة " فاقد الشيء لا يعطيه "

2- الطلبة ؛ الشباب وهم جيل المستقبل المنشود والمعلوم أن الأمة التي تنجح بإعداد شبابها الإعداد المطلوب في إطار الحياة النفسية السوية ؛ والمسك الخلقي القويم ؛ وتحصيل العلم النافع إنما هي أمة تسير في طريق الفلاح وتستطيع بناء حضارتها على أسس متينة .

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي القلب من قيادتها الشيخ الإبراهيمي حسمت خيارها في طريق الثورة والتحرير وصناعة التقدم فاعتمدت سبيل تكوين جيل الأمة الأقوى والأرقى والأكثر أهلية لأنها وجدت ذلك أكثر جدوى ؛ وهذا الخيار صلح ويصلح قبل الجمعية ومع الجمعية وبعد الجمعية ؛ وفي أيامنا هذه وفي كل زمان ومكان لأنه أية أمة وأمتنا في عداد الأمم لا تنهض ولا تتحقق عزتها وكرامتها إلا إذا تمكنت من إعداد شعب أمة .

ونخلص من هذه الفقرة إلى أن النداء الذي كان قد وجهه الإبراهيمي إلى المعلمين قائلا

[5] - المصدر السابق ؛ ص 352 .

" إن وطنكم مفتقر إلى جيل قوي البدن ؛ قوي الروح ؛ مستكمل الأدوات من فضائل وعزائم وإن هذا الجيل المنتظر تكوينه منكم "[6] .

الشباب الموقع وأهمية الدين :

إن الإمام الإبراهيمي الذي تأصلت في افهامه أسس بناء الشخصية الصحيحة السوية على مستوى الفرد ؛ وعلى مستوى الأمة ؛ والذي درس تجارب الشعوب وتاريخها ؛ والذي عاش واقع الجزائر والأمة العربية والعالم الإسلامي تحت نير الاستعمار والأطماع بفلسطين وسائر ما للأمة دينا وأرضا وثروات وعرف كل التحديات لفت إلى أن الشباب هم من تقع عليهم مهمة حبه التحديات ؛ وردع العدوان وعنده : " الشباب في كل أمة هم الدم الجديد الضامن لحياتها واستمرار وجودها ؛ وهم الامتداد الصحيح لتاريخها ؛ وهم الورثة الحافظون لمآثرها وهم المصححون لأغلاطها وأوضاعها المنحرفة وهم الحاملون لخصائصها إلى من بعدهم من الأجيال "[7].

هذا الشباب الذي تقع على كاهله المهمات الجسام تجاه الدين والأمة والتراث والتاريخ والحاضر والمستقبل ؛ إنما يعاني ما يعانيه لأسباب وعوامل كانت هي اخطاء في أصل تربيته ؛ وقد ارتكب الاخطاء البيت والمدرسة والمجتمع ؛ وأبرز هذه الأخطاء ؛ وأشدها فتكا بالشباب هي إهمال العامل الديني في تكوين الشباب ؛ والمعلوم أن الدين هو الأساس المكين لشخصية متزنة ؛ وهو العاصم من الخلل والرذائل والمفاسد ؛ فقال الإبراهيمي في أسباب ضعف الشباب : " إن الكثير من هؤلاء الشباب لم ينشأ دينيا ؛ لا في البيت الذي هو أول مدرسة في حياته ؛ ولا في المدرسة التى هي ألة التقويم الخلقي لتلامذتها ولا في المجتمع "[8]

[6] - الإبراهيمي ؛ الإمام البشير ؛ أثار محمد البشير الإبراهيمي ؛ ج 4 ؛ ص - 204 .
[7] - المصدر نفسه ؛ ص - 120 .
[8] - المصدر نفسه ؛ ص – 300 .

والإمام الإبراهيمي هو المربي الذي اعتمد التربية منهجا وسبيلا لتنشئة جيل من الشباب يصنع المستقبل الأفضل لأمته ؛ وجّه هذا الشباب إلى الإيمان والعمل والعلم والتمسك بالعربية والتراث؛ أي بالهوية الثقافية القومية للأمة .

قال الإبراهيمي مناديا الشباب : " يا شباب الإسلام وصيتي إليكم أن تتصلوا بالله تدينا ؛ وبنبيكم اتباعا ؛ وبالإسلام عملا ؛ وبتاريخ أجدادكم إطلاعا وبآداب دينكم تخلقا ؛ بآداب لغتكم استعمالا ؛ وبإخوانكم في الإسلام ولذاتكم في الشبيبة اعتناءا واهتماما ؛ فإن فعلتم حزمتم من الحياة الحظ الجليل ؛ ومن ثواب الله الأجر الجزيل "[9] .

إن المستعمر الفرنسي للجزائر ؛ وقد مضى على إعتصابه البلد أكثر من قرن من الزمن ؛ افتتح المدارس والمعاهد ؛ ولكن مدارسه ومعاهده تعمد لضرب العربية تمهيدا لضرب الهوية وينتج الانتماء القومي وتنشر المفاهيم التربوية التى تعزز المادية في النفوس ؛ وبذلك تقضى على القيم والمثل والفضائل ؛ فالتربية المطلوبة للشباب هي تلك التى تكون في مدارس ومعاهد عربية إسلامية تصقل الروح وتهذي النفوس إضافة إلى تأمين المعرف اللازمة لكل مرحلة من مراحل العمر.

يرى الإبراهيمي المصلح الثائر بأن : " السبيل القويم الذي يؤدي إلى حفظ الجيل الجديد من هذه الشرور المتوارثة ؛ وإلى توثيق عدى التوافق بين أفراده ؛ إلى توحيد أفكاره ومشاريعه واتجاهاته وإلى تصحيح فهمه للحياة ؛ وتسديد نظرته إليها وتشديد عزيمته في طلبها ؛ هو المدرسة العربية التى تصقل الفكر والعقل واللسان وتسيطر عليها وتوجيه الناشئ إلى الإسلام والعرب و إلى الشرف والروحانية "[10] .

إن العوامل الناهضة بالشباب والتى تقود الامة إلى مستوى أفضل بفضل حكمة شيوخها وعزيمة شبابها يمكن حصرها حسب الإبراهيمي كما يلي :

---

[9] - المصدر السابق ؛ ص - 121 .

2 - الإبراهيمي ؛ الشيخ محمد البشير ؛ من أثار محمد البشير الإبراهيمي ؛ عيون البصائر ؛ الشركة الوطنية للنشر ؛ الجزائر ؛ 1971 ؛ ج 1 ؛ ص - 302 .

– الإيمان مع الوعى الذي يصدقه العمل .

– التشبث بالهوية القومية العربية وبالوطنية الجزائرية .

– أن يكون واضحا عند كل شاب جواب على سؤال: من أنا ؟ لأن ضياع الهوية الدينية والقومية والوطنية يجعل المسار خيط عشواء ويؤدى إلى الفوضى والضياع .

– التزام خط القيم التى تتوازن فيها الروح والمادة .

– اعتماد المنهج الوحدوي بعيدا من الفرقة والانقسام لأن إعداد أمتنا في كل عصر ومصر اعتمدوا سياسة " فرق تسد " وشبابنا واجبه اعتماد القاعدة القرآنية : " إنما المؤمنين إخوة " كما يوجه الإبراهيمي بعد وضعه لهذه الأسس ضرورة امتلاك القوة تلك القوة التى توصف في دفع العدوان ؛ وردع الظلم ودراسة الحق وقد أصل النص القرآني لهذا من خلال الخطاب الإلهي ليحي عليه السلام .

لقد استفاد الإبراهيمي من هذا التوجيه فأكد عليه عندما خاطب الشباب المسلم قائلا : " والشباب المحمدي أحق شباب الامم بالسبق إلى الحياة والأخذ بأسباب القوة "[11] .

الإبراهيمي وإعداد جيل الشباب:

إن الشباب هم الرأسمال البشري صاحب الدور المتميز في الأمة والشباب يحتاج لإعداد خاص يؤهلهم باتجاه ما تنتظره أمتهم منهم ؛ وهذا يتطلب التهذيب الأخلاقي والتزود بالعلوم والأمة التى تهمل شبابها تكون قد فرطت بالعناصر الأولى بالعناية وهذا يهدّد مستقبلها وقال الإبراهيمي في هذا الصدد : " إن الأمة الرشيدة هي التى تحرص لشبانها في طور الشباب من الآفات التي تصاحب هذا الطور ؛ طور له ما بعده من زيغ واستقامة وتحافظ على أهوائها أن تتجه اتجاها غير محمود ؛ وتحافظ على عقولهم أن تعلق بها الخيالات

[11] - أثار محمد البشير الإبراهيمي ؛ ج 4 ؛ ص - 121 .

فتنشأ عليها ؛ ويعسر أو يتعذر رجوعهم عنها ؛ وتحافظ على ميولهم وعواطفهم أن تطغي عليها الغرائز الحيوانية ؛لأن هذا هو طور تنبيهها ويقظتها "[12] .

وشبابنا في تصارع الأنواء ؛ وهياج عواصف المغريات يحتاج أول ما يحتاج إلى الإلتزام الديني ؛ والإلتزام القومي العربي الذي يعني الإلتزام بالقيم الناظمة للمسار الحضاري للأمة فهذا هو العامل الأساسي في تكوين شخصية الشاب المحصن ضد كل ما يؤدي إلى المفسدة على حساب القيم والفضائل .

وينبه الإبراهيمي إلى هذا في قوله : " إذا أحب الشباب دينه وفضائل دينه ؛ ولغته وأسرار لغته أحب العرب جميعا وأصبح في نفسه دافع إلى الاجتماع بإخوانه في الدين والعروبة "[13] إن التوجيهات الأنفة الذكر بشأن الشباب تتحقق بالتربية التى تتدرج في إعطاء التلامذة الجرعات التى ترتقي بالطلاب ليكون شباب اليوم المستقيم ورجال الغد المأمول .

والشباب يحتاج مؤسسات الرعاية ؛ ومراكز إبراز المواهب ؛ وعند هذا لا يلبي المسجد بمفرده هذه الحاجة رغم أفضلية موقعه في فرائض المسلم ؛ وارتباطه بالإسلام ؛ فالمعلوم لدينا أن الشباب لهم هويات وعواطف وانفعالات ؛ وأوقات فراغ ؛ وحاجات للتسلية وصرف الطاقات لهذا عملت الجمعية وفي قلبها الإبراهيمي على تأسيس الأندية ؛ فكما أن المساجد حاجة ضرورية للشيوخ وكبار السن ؛ والحضانات والمدارس حاجة للأطفال والفتيان ؛ فإن الأندية حصن حصين للشباب ولكن إن قامت على التقوى ؛ وسادتها القيم السامية ؛ والأنماط الأخلاقية الفاضلة .

[12] - الإبراهيمي : الإمام محمد البشير : أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ؛ عيون البصائر ؛ ج 3 ؛ ص – 294 .
[13] - المصدر نفسه ؛ ص 301 -

قال الإبراهيمي عن الاندية الشبانية : " أنشأت الجمعية في مدة زمنية قصيرة عشرات النوادي في المدن والقرى ودعت إليها الشبان فاستجابوا وأقبلوا عليها لأنها أقرب إلى أمزجتهم ولأن فيها شيئا من التسلية والمرح ؛ ولأن فيها قليلا من جو المقهى....وفي ظل هذه الجوانب التقت الجمعية بالشباب وقامت بحق الله فيهم فنظمت لهم فيها محاضرات تهذب بها أخلاقهم وتعرفهم بأنفسهم وقيمتهم ومنزلتهم في الأمة وتجمع قوتهم ؛ ودروسا تعلمهم بها دينهم ولغتهم وتاريخهم ؛ فكان لمشروع النوادي أثار الشبان تساوى أثار في المدرسة في الأطفال ؛ وتفوق أثار المساجد في الشيوخ والكهول "[14] .

إن هذه النوادي التى أنتبه إليها الشيخ الإبراهيمي تشكل ضرورة تربوية ؛ وفقدانها أو عدم وجودها سيخلف بالضرورة مشكلة .

ولكن الإبراهيمي يكمل توجيهاته الحكيمة للشباب حين يدعوهم إلى الوسطية والاعتدال و الابتعاد عن العلو ونجده يوجههم إلى تخصيص قدر من الوقت لكل نشاط بدني أو فكري فيقول في هذا الصدد ؛ " لا تقطعوا الفاضل من وأوقاته في درع الأزقة إلا بمقدار ما تستعيدون به النشاط البدني ؛ ولا في الجلوس في المقاهي إلّا بقدر ما تدفعون به الملل والركود ؛ ولا في قراءة الجرائد إلا بقدار ما تطلعون به على الحوادث الكبرى ....خذوا من كل ذلك بمقدار ؛ ووفروا الوقت كله للدرس النافع والمطالعة المثمرة "[15] .

إن حاجات الشباب متنوعة خارج إطار العمل أو الدراسة ولا بأس أن يخفف الشباب عن نفسه ويروح في وقت بعد آخر ولكن ضمن حدود مقبولة وقد أرشد إلى هذا الحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه : " روحوا عن النفس ساعة فساعة " .

1 - الإبراهيمي ؛ الإمام محمد البشير : أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ؛ ج 4 ؛ جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي البيرونى؛ دار الغرب الإسلامي ؛ ط 1 ؛ سنة 1997 ؛ ص 173 -174 .

[15] - الإبراهيمي ؛ أثار الشيخ محمد البشير ؛ ج 3 ؛ ص 203 .

ويشخص الإبراهيمي الداء ويصف العلاج فيقول : " إن شبابنا المتعلم كسول عن المطالعة ؛ والمطالعة نصف العلم أو ثلثاه ؛ فأوصيكم يا شباب الخير بإدمان المطالعة والإكباب عليها ؛ ولتكن مطالعتكم بالنظام حرصا على الوقت أن يضيع في غير طائل ؛ وإذا كنتم تريدون الكمال فهذه إحدى سبل الكمال "[16] .

تأسيسا على ما تقدم نخلص إلى أن الإبراهيمي يحدد القواعد لإعداد الجيل في النقاط التالية:

1- الإعداد السليم من جهة الالتزام الديني .

2- المناهج التعليمية التى تسهم في تكوين شخصية ناشئة مع التحصين من الزيغ والأهواء والمغريات .

3- توفير الرعاية الدائمة للشباب بعد الخروج إلى سوق العمل أو قبله ؛ وهذا يحتاج إلى المرافق العامة التى تتوفر له فرص الترويح عن النفس ؛ وقضاء أوقات الفراغ بما هو مفيد .

4- تنمية المواهب والمعارف بالمطالعة ؛ ومتابعة البحث لان التحصيل والاكتساب من الامور التى يحتاجها الفرد من المهد إلى اللحد .

5- تفعيل العمل المؤسسي الأهلي كي توظف من خلاله الطاقات المتطوعة من أجل الصالح العام ؛ وفي رحابه يتم صقل شخصية الفرد ؛ وتتم رعاية مواهبه وتنمية ملكاته كي نتفتح له سبل الإبداع والعطاء دون حواجز ومعوقات .

1 - الإبراهيمي ؛ أثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ؛ جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ؛ دار الغرب الإسلامي ؛ بيروت 1997 ط 1 ؛ ج 1 ؛ ص – 82 .

الفصل الأول :

المبحث الأول : الخطاب (الماهية والنشأة) :

01 – الخطاب بين اللغة والاصطلاح .

02 – دوافع الخطاب .

03 – رواد الخطاب الإصلاحي في العالم العربي و الإسلامي الحديث .

04 – التجربة الإصلاحية في الجزائر .

05 – نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر .

06 – مفهوم الخطاب الإصلاحي عند كبار المصلحين في .ج .ع. م . ج .

07 – أهداف الخطاب الإصلاحي عند . ج. ع . م .

المبحث الثاني: الهوية (الماهية النشأة) :

01 – الهوية بين اللغة والاصطلاح .

02 – الهوية في الحقول المعرفية .

أ : في الفلسفة

ب: في علم الاجتماع

ج: في علم النفس

03 – اليات أنتساب الهوية

أ: التقمص

ب: دور الافعال والأشياء

04 – أنواع الهوية

أ: الهوية الفردية

ب: الهوية الجماعية

الخطاب بين اللغة والاصطلاح :

أ- لغة :

إن لفظ الخطاب يعتبر من الألفاظ الثرية وذالك لوفرة الكلمات المتفرعة عنها بالاشتقاق ؛ ولكن بالرجوع إلى المعنى اللغوي نجد أنه " الخطب : الشأن أو الأمر ؛ صغر أو عظم ؛ وقيل : هو سبب الأمر يقال : ما خطبك ؛ أي ما أمرك ؛ وتقول : هذا خطب جليل ؛ وخطب يسير والخطب الامر الذي تقع فيه المخاطبة ؛ والشأن والحال ؛ ومنه قولهم : جلّ الخطب أي عظم الأمر و الشأن "[1] وفي معجم العين : الخطب : ليس الأمر (الذى تقع فيه المخاطبة) والخطاب : مراجعة الكلام تبادله بين إثنين أو أكثر والخطبة مصدر الخطيب [2] .

وقد وردت لفظة الخطاب في القرآن الكريم في قوله تعالي : " فَصْلُ اَلْخِطَابْ "[3] " قيل هو أن يحكم أو اليمين ؛ وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل ؛ ويميز بين الحكم وضده ؛ وقيل (فَصْلُ اَلْخِطَابْ) الفقه في القضاء ؛ خطب المرأة خطبا ؛ وخطبا فهي خطبة وخطبته وهو خطبها ؛ والخطاب المتصرف في الخطبة "[4] .

ومما يلاحظ أن جميع الاشتقاقات المذكورة لهذه الكلمة : تفيد وتعنى الكلام الموجه من شخص ما إلى متلق ما ؛ مستمعا كان أو قارئا ؛ بل حتى مشاهد الرسم أو شكل من الأشكال الإشهارية لكونه يحمل دعوة إلى كلام مكتوبا موجها أسم الخطاب .

---

[1] - ابن منظور : لسان العرب ؛ مادة (خطب) تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ؛ دار المعارف ؛ القاهرة

[2] - الفراهيدى الخليل ابن أحمد : كتاب العين ؛ دار ا حياء التراث العربي مادة (خطب)

[3] - ص /20.

4 - الفيروزي أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الشافعي : قاموس المحيط ؛ دار الكتب العلمية ؛ بيروت ؛ لبنان 1999 ؛ ط1 ؛ مادة (خطب)؛ ص 157 / 158 .

ب : اصطلاحا :

تعددت مفاهيم مصطلح الخطاب بتعدد تصورات المهتمين به ؛ تلك التصورات المتمايزة من بعضها والمتكاملة في الوقت ذاته ؛ إذ تنوعت المنطلقات نتيجة اختلاف فهم المهتمين على وفق التطور فيما أنتج في مجال نظريته ؛ وذالك انطلاقا من وصفهم له بأنه مجموعة من أفعال الصياغة والجمل والقضايا .

فحسب رأى هاريس " فالخطاب وحدة لغوية ؛ ينتجها الباث (المتكلم) تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة "[1] .

"والخطاب أيضا وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة جماعية وذلك بحسب رأى بينفست " [2] .

وقد ذهب الجابري وعرف الخطاب بأنه : " مجموعة من النصوص لها جانبان وهما ما يقدمه المرسل وهو الخطاب وما يصل المتلقي وهو التأويل "[3] .

كما أضاف أيضا " نايف حزما " تعريف أخر للخطاب أنه : " الكلام المتصل الذي يشمل اجزاء من جمل أو عدة جمل معا "[4] .

وأخيرا يمكن تلخيص مفهوم الخطاب من خلال وضع الاصطلاح الاكثر عمومية له فهو : " نظام تعبير متقن ومضبوط "[5] .

الخطاب هو تنظيم مجاوز للجملة ؛ معنى ذلك أنه ليس تتابعا للمجموعة من الكلمات بل هناك بنى يخضع لها ؛ تتجاوز بنى الجملة فعبارة " ممنوع التدخين " تعتبر خطابًا رغم استفاءها لشروط الجملة .

---

[1] . - فرحان بدري الحربي : الأسلوبية في النقد العربي الحديث " دراسة في تحليل الخطاب " ؛ بيروت ؛ ط 1 ؛ 2003 ؛ ص / 40

[2] - المرجع نفسه ؛ ص / 40 .

[3] - محمد عابد الجابري ؛ الخطاب العربي المعاصر ؛ بيروت ؛ دار الطليعة ؛ 1982 د ط ؛ ص / 35 .

4 - سامية أحمد : " التحليل البنيوي للسرد " مجلة المستقبل العربي ؛ بيروت ع 148 ؛ 1991 ؛ ص / 93.

[5] - فرحان بدري الحربي ؛ الأسلوبية في النقد العربي الحديث ؛ ص / 40 .

ويحدث أن ينحرف الخطاب عن تلك الغاية حينما يكون موجها نحو غايات أخرى ؛ ثم يعود إلى غايته الأصلية مثل : كان على أن أقول هذا ...أو سأعود إلى الحديث عن هذه النقطة ...وهو كل ما من شأنه أن يوجه كلام المتكلم نجد ذلك كثيرا في الحوارات والمحادثات ؛ أنه نمط من الأفعال : إذهناك من يرى أن اللغة هي أقوال تتحول إلى أفعال مختلفة باختلاف السياقات التى ترد فيها ؛ وقد تدعم هذا التوجه بنظرية الأفعال الكلامية التى طورها أوستين وسيرل .

فالخطاب تفاعل يتجلى في المحادثات التى يسعى فيها أصحابها إلى التنسيق بين مختلف ملفوظاتهم أثناء تحولهم ؛ ويشمل هذا النمط الخطابي كل ما يصدر عن المتكلم من خطاب سواء أحضر المستمع فيه أم لم يحضر ؛ ولا يكون الخطاب خطابا إلا إذا تبنته هيئة تشكل محور المعالم الزمنية والمكانية والشخصية وتشير إلى موقفها اتجاه ما تقوله

ويخضع الخطاب لمجموعة من المعايير الاجتماعية والأخلاقية ؛ تتكفل قوانين الخطاب ؛ فالأفعال الكلامية كالأمر والوعد والنهي ...لا يمكن لها أن تصدر دون الخضوع لمعايير حددتها الأخلاق والقيم الإجتماعية والثقافية والدينية .

أخيرا لا يؤول الخطاب إلا بإدراجه في خطابات أخرى ؛ فكل نوع خطابي أسلوبه في التكفل بتسيير مختلف العلاقات التخاطبية ؛ إن تأويل أى خطاب من أى نوع كان ؛ يقتضى ربطه أو مقابلته لأنواع خطابية أخرى [1] .

والخطاب هو الصيغة التى نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين ؛ والصيغة التى نتلقى بها أفكارهم .

[1] - عمر بلخير ؛ أحمد ماضي : الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ؛ دار الحكمة للنشر ؛ الجزائر ؛ 2009 ؛ ص / 117

فالخطاب بالمعنى الذى قدمناه ؛ يتجاوز حدود اللغة المنطوقة ؛ ليصنع تحت جوانبه كل ما نعبر به عن أنفسنا للآخرين ؛ وما يعبرون لنا به عن أنفسهم – فالخطاب – على هذا التصور – ذو لفتين إحداهما منطوقة والأخرى غير منطوقة ؛ فهذه تشمل كل إشارة ؛ ظاهرة كانت أو خفية ؛ وكل ملمح واضحا كان أو غير واضح ؛ وكل إجراء تتحول به الأفكار والمفاهيم و المشاعر إلى فنى إبداعي ؛ كالرسم الساخر ؛ واللوحة التشكيلية الفنية والموسيقى ولذلك قد نرد الخطاب إلى هذه الجوانب الفنية .

وهذا يعنى أنه ينبغي أن ننظر إلى "أي عمل فني ؛ على أنه يتضمن خطابا مباشرا أو غير مباشر ؛ يتضمن خطابا مباشرا باعتبار ما فيه من معان وأحاسيس ومفاهيم مقصود بها أن تصل إلى المستقبل ؛ بغض النظر عن لغته وزمانه ومكانه ويتضمن خطابا غير مباشر ؛ باعتبار أن اللغة هنا ليست لغة النطق والكلام ؛ ولكنها لغة الإيحاء والإشارة" [1] .

دوافع الخطاب :

للخطاب دوافع كثيرة من جملتها :

– عن طريقه نحقق أنفسنا ؛ ذواتنا وهذا دافع نفسي مهم ؛ فإن الخطاب يجعلنا قادرين على أن نجعل لأفكارنا قدرا من التقبل عند الاخرين ؛ وهذه درجة من درجات تحقيق الذات .

– يعتبر طريقة للتحاور ؛ فيقبل بعضنا بعضا في النهاية ؛ أو يتحول أحدنا إلى الاخر في خاتمة المطاف " إن التحاور من دوافع الخطاب ؛لأن رغبتنا في الوصول إلى الأخر تدفعنا إلى مخاطبته ؛ حتى إذا وجدنا بيننا وبينه هوّة كبيرة ؛ ألقينا إليه كل مرة بشباك مختلفة ؛ حتى نجد أنفسنا قريبين منه إن استطعنا ذلك سبيلاً "[2] .

1 - د .سمير شريف استيتية : "اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر" ؛ اللجنة الوطنية العليا للإعلان ؛ عمان 2002 – د ط ص - 15 / 16 -

2 - المرجع نفسه ؛ ص 18 / 19 -

ومن دوافعه أيضا أنه يقدم الحقيقة للآخرين ؛ فإن المكتشف يجد غاية المتعة وهو يكشف حقائق الكون والحياة ثم يعبر عنها بالخطاب فبذلك يكون الخطاب يكشف في كثيرا من الأحيان عن ذوق صاحبه ؛ بل عن الذوق الجماعي والعلاقات في المجتمع الذى ينتمى إليه.

رواد الخطاب الإصلاحي في العالم العربي والإسلامي الحديث :

حاول الخطاب الإصلاحي فتح الطريق للنهوض بكافة السبل والطرائق ؛ انطلاقا بحقيقة "اَلْتَخَلُفْ " والْرُكُود " التى كان يعانيها الواقع الإسلامي ؛ فقد شهد العالم الإسلامى حركات إصلاحية استطاعت أن تحقق بعض النجاح في مقاومة الاستعمار ومكافحة البدع ومن أهم هؤلاء الرواد :

جمال الدين الأفغانى وكان خطيبا بارعا ؛ يتقن عدة لغات ؛ كرس حياته كلها للدفاع عن الإسلام والدول الإسلامية ... كما دعا إلى إصلاح مناهج التعليم ؛ حيث نادى الأفغاني : " بضرورة تطهير الإسلام من الخرافات والأوهام ؛ فظن الناس مثلاً أن الإيمان بالقضاء معناه ترك العمل للركون إلى الكسل ؛ وقد فطن الشيخ الأفغاني إلى أهمية العنصر الديني في الخطاب الإصلاحي ؛حيث رأى أن الدين كان أساسا في إصلاح هذه الأمة ؛ بل في دفعها إلى المقدمة في كثير من عصور التاريخ ؛ ولعدة قرون وفي فترات متفاوتة ؛ الدين هو السبيل الرئيس في توحيد الهمم من أجل أنقاد الأمة ودفعها مرة جديدة في طريق الحضارة ولكن بشرط أن يطهر الإسلام من الأوهام والخرافات التى لحقت به في عصر التدهور[1] لكن فكر جمال الدين الأفغاني كان سياسيا في المقام الأول وان لبس ثوب المصلح الديني ولهذا اتسمت دعوته منذ البداية بالطابع السياسي وتركت تأثيرا كبيرا في العالم الإسلامي ومنها الجزائر.

أما عن الخطاب عند الشيخ محمد عبده فقد كان مختلفا في منطلقاته العامة عن خطاب الأفغاني ؛ لكنه كان يختلف في مسألة السياسة فقد كان يحمل لمبدأ : " ما دَخلتُ السياسة أمرا إلا أفسدتهُ " فقد كان محمد عبده يتمثل في الإصلاح الديني التربوي الاجتماعي .

1 - محمود قاسم : مناهج الإصلاح في الشرق مند أواخر القرن التاسع عشر حتى عصر النهضة المعاصرة ؛ فكرة جمال الدين الأفغاني عن الإصلاح ؛ مجلة الثقافة ؛بيروت ؛ عدد 81 ؛ ص 22 / 23 / 25 -

وبهذا فقد كان لكل منهما دعوته الإصلاحية ومنطلقاته وأفكاره الخاصة ولكنه يخدم الدعوة الإسلامية والمسلمين على مر الزمان ؛ إذ أننا لانكاد نجد فترة زمنية قد خلت من عالم بارز يرفع راية الإصلاح فيها فكان أول من : " نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء – سمعه العالم الإسلامي كله – من الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ؛ وأول من قام بخدمة العالم الإسلامي بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ؛ رحمهما الله "[1] .

وبدأت مرحلة الخطاب الإصلاحي في العالم العربي الإسلامي الحديث مع جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ؛ وابن أبي ضياف ؛ وخير الدين التونسي ؛ وغيرهم فقد عمل على خدمة المجتمع والحفاظ على ثوابت الأمة وتماسك عقيدتها وأساس هذه الدعوة هو التمسك بالدعوة الإسلامية فقد كان : " للإسلام دور هام في الإصلاح خلال كل عصر من العصور التى شهدت انحطاطا واضحا في الحياة الفكرية والاجتماعية والدينية ؛ لذلك فإن المصلحين الذين برزوا على رأس كل عصر كانوا يرجعون في معالجة الأمراض الاجتماعية ومحاربة البدع والخرافات التى تحيط بالدين إلى منابع الإسلام الصحيحة الصافية "[2]

ولم يكن الأفغاني ومحمد عبده فقط ممن دعى إلى الإصلاح واعتماد الشريعة الإسلامية كأساس لقيام هذه الدعوى ؛ فقد ظهر في القرن الثامن عشر من نادى إلى تنقية الإسلام من الانحرافات عن طريق القرآن والسنة هو (الشيخ محمد بن عبد الوهاب " 1703 – 1792 " وهو من العلماء المجددين ؛ ولد في العيينة بنجد ؛ ناصره محمد بن سعود ؛ له رسائل منها " كتاب التوحيد " كشف الشبهات " تفسير الفاتحة "[3] .

[1] - مجموعة جريدة البصائر ؛العدد 5 ؛ 1947 م ؛ ص 79

[2] - عبد الكريم بو صفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 م – 1945 م ؛ ص 52/ 54.

[3] - ينظر ؛ مجموعة مؤلفين : المنجد في اللغة والإعلام ؛دار المشرق بيروت ؛ 2003 م ؛ د ط 26 ؛ ص 369 .

ثم يأتي علماء إصلاح آخرون يكملون مسيرة التغيير والإصلاح ومنهم : الشيخ حسن الوطار في مصر ؛ كما اشتهر في المرحلة نفسها الإمام محمد بن علي الشوكاني من علماء اليمن ؛ ويبرز في تونس بعد سنوات خير الدين التونسي والشيخ محمد النخلي "1862 – 1924 " .

أما في المغرب الأقصى ومن الذين اهتموا بقضايا الإصلاح ورفع لواءه : " السلطان سليم بن سيدى محمد بن عبد الله أحد مفاخر ملوك المسلمين في القرن الثاني عشر ؛ حيث كان هذا الإمام علامة مشاركا تحريرا سلفيا ؛ مصلحا كبيرا ؛ عاملا بعلمه ؛ آمرا بالمعروف ؛ ناهيا عن المنكر ؛ داعيا للسنة ؛ محاربا للبدعة ؛ معلما للأمة ما علمه الله منفذا فيها لأحكام الله "[1] .

أضف إلى ذلك من المصلحين حديثا محمد بن الحاج الطيب الحسني الوزاني ؛ والشيخ محمد الدين الخطيب وغيرهم .

وعليه يمكن القول أن العالم العربي والإسلامي شهد عدة نشاطات إصلاحية تحاول النهوض بأمته وشعبه وبمعنى أخر بالأمة العربية والإسلامية وهذا كله لما خلفه الاستعمار وحاول زرعه في الهوية العربية وجعلها هوية أروبية ولكن رجال الإصلاح وباستعانتهم بالشريعة الإسلامية أعانهم الله على حمل لواء الإسلام والتمسك به وعدم التخلي عن القومية العربية .

[1] - عمار طالبي : إبن باديس حياته وأثاره ؛ دار ومكتبة الشركة الجزائرية ؛ الجزائر ؛ 1968 ؛ دط ؛ج 3 ؛ ص 135 .

التجربة الإصلاحية في الجزائر:

واجهت أمتنا الجزائرية المسلمة تحديات جمة وخطيرة استهدفت هويتها وعقيدتها وتراثها وحضارتها وثروتها وعزتها وكرامتها وحريتها ؛ فلم يستطيع المجتمع الجزائري تقبل كل هذه الإهانات ؛ ففي البداية كانت تنتظر من فرنسا أن تفي بوعدها من خلال مشاركتها في الحرب ضد ألمانيا. ولكن بمجرد احتفالها بمرور مئة عام على احتلال الجزائر ؛ وقد كان هذا العمل مقصودا من الاحتلال بهدف تذكير الجزائريين بالهزائم التى منوا بها على يد هذا الجيش في معارك الاحتلال الأولى التى استمرت حوالى سبعين عاما (من 1830 إلى 1900) واستشهد فيها مئات الآلاف من الجزائريين رجالا ونساء دفاعا عن حرية بلادهم واستقلالها ؛ حتى لا يفكروا في الثورة على الاحتلال في يوم من الأيام ومن جهة أخرى فقد كانت هذه الاحتفالات وما جرى خلالها من تصريحات وخطب أنصبت في معظمها على إهانة الجزائريين وتهديد شخصيتهم القومية حافزا لهم لكي يشمروا عن سواعدهم في سبيل العمل من أجل تحرير وطنهم والمحافظة على شخصيتهم الوطنية في وجه تلك التهديدات . – ومن هنا كانت هذه الاحتفالات نقطة تحول في تاريخ الجزائر الحديث لأنها " أيقظت من كان نائما ؛ ونبهت من كان غافلا ؛ فأحس المفكرون في الجزائر بضرورة التكتل والعمل المثمر ؛ ونشأت عن ذلك حركات سياسية اختلفت وسائلها واتحدت غايتها التى هي رفع الظلم ؛ وطلب الحرية "[1] .

[1]- تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية ؛ مركب الطباعة رغاية ؛ الجزائر ؛ (1931 – 1954) ؛ ط 2 ؛ ص 65 .

نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر :

لقد كان للحركة الإصلاحية ؛ غايات روحية وثقافية ووطنية وقومية من خلال تأصيل الهوية العربية للشعب الجزائري والتأكيد على انتماءاته ووصل لحمته بمختلف الأقطار العربية الشقيقة ؛ باعتبار أن العربية هي وعاء العقيدة الإسلامية ؛ والفكر الإسلامي .

وقد تجلت الحركة الإصلاحية في ظهور عدة حركات ومن بينهم وأهمهم : جمعية العلماء المسلمين وقد تكونت في : " الخامس من مايو 1931 وهي حركة عربية إسلامية إصلاحية "[1] تلتقي في أهدافها البعيدة من الناحية الوطنية مع حركة " نجم شمال إفريقيا " و" حزب الشعب الجزائري " في الدعوة إلى تحرير الجزائر ضمن نطاق الحضارة العربية الإسلامية ومن الناحية الإصلاحية تلتقى مع مدرسة التجديد الإسلامي التى ظهرت في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر .

فظهور جمعية العلماء المسلمين لم يكن وليد الصدفة ؛ وإنما كان ثمرة بذور زرعها بعض المصلحين العرب والمسلمين في أواخر القرن التاسع عشر (جمال الدين الافغاني ؛ محمد عبده) وقد تولى رئاستها منذ البداية الإمام عبد الحميد بن باديس الذي ضل يشغل هذا المنصب " من عام 1931 حتى وفاته في عام 1940 " ثم تولى رئاستها الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي " من عام 1940 إلى عام 1956 م " .

وكانت مبادئها كما لخصها الإمام عبد الحميد بن باديس هي :

:" العروبة ؛ والإسلام ؛ والعلم ؛ والفضيلة "[2]

فجمعية العلماء المسلمين تعمل على حفظ جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة .

[1] - المرجع السابق ؛ ص 66 .
[2] - جريدة البصائر ؛ العدد 83 ؛ سبتمبر 1937 ؛ ص 1 .

وقد جاء في الفصل الرابع من قانونها الأساسي أن : "القصد من هذه الجمعية هى محاربة الآفات الاجتماعية ؛ كالخمر ؛ والميسر ؛ والبطالة ؛ والفجور "[1] .

وبعبارة أخرى فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي جمعية إسلامية جزائرية في مدارها وأوضاعها ؛ علمية في مبادئها ؛ وغايتها .

وقد تكون المجلس الإدارى لجمعية العلماء في بداية نشأتها في الخامس من مايو 1931 على الكيفية التالية :

"	
01- عبد الحميد بن باديس	رئيس
02- محمد البشير الإبراهيمي	نائب الرئيس
03- محمد الأمين العمودي	كاتب عام
04- الطيب العقبي	نائب الكاتب العام
05- مبارك الميلي	أمين مال
06- إبراهيم بيوض	نائب أمين مال
07-المولود الخافظي	مستشار
08- مولاي بن الشريف	مستشار
09- الطيب المهاجي	مستشار
10- السعيد البحري	مستشار
11- حسن الطرابلسي	مستشار
12- عبد القادر القاسمي	مستشار
13- محمد الفضيل الورتيلاني	مستشار"[2]

[1] - تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931 – 1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية ؛ ص 202 .
[2] - محمد البشير الإبراهيمي ؛ كيف تكونت جمعية العلماء ؛ الجلسة التمهيدية ؛ مجلة الشهاب ؛قسنطينة ؛ 1931؛ من ص 341 إلى ص 344 .

فلكل هؤلاء الرواد والمؤسسين في جمعية العلماء له دور كبير في القيام بعملية الإصلاح في الجزائر ؛ فالشيخ بن باديس يعتبر " ...من أهم الصلحين المعاصرين الذين بذروا بذرة الإصلاح في الجزائر ؛ وإليه يعود الفضل في نشأة هذه الحركة السلفية في الجزائر "[1]

أما عن الشيخ البشير الإبراهيمي فيعد من أهم من اشتهروا بمواقفهم الإصلاحية في الجزائر ومن نشاطاته الإصلاحية أن أسهم في نشر العلم عن طريق افتتاح المدارس منها معهد عبد الحميد بن باديس الثانوي بقسنطينة وغيرها .

فرواد الخطاب في الجزائر معظمهم من مؤسسي هذه الجمعية فنذكر مثلا الشيخ الطيب بن محمد العقبي " 1890 – 1960 " والأستاذ محمد الأمين العمودي ؛ ومحمد السعيد السنوسي الزاهري ؛ والشيخ العربي بن بلقاسم التبسي ؛ والشاعر الجزائري محمد العيد أل خليفة ... فهم يعتبروا من أبرز وأهم من قاموا بمحاربة ظلمات الجهل والانحرافات والبدع والخرافات ؛ من أجل الحفاظ على دين الأمة وشخصيتها العربية والإسلامية .

مفهوم الخطاب الإصلاحي عند كبار المصلحين في ج. ع . م . ج :

إن الوقوع تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي كان صدمة كبيرة بالنسبة للشعب الجزائري وخاصة المثقفين منهم ؛ فالإحساس بالحاجة إلى الإصلاح كان ينمو داخلهم ويزداد يوم بعد يوم ؛ فالإصلاح بالنسبة إليهم جاء كرد فعل على حال الانحطاط الأخلاقي والاجتماعي الذى آل إليه المجتمع الجزائري وتحقيقا لهذا الهدف فقد " دعا المصلحون إلى العقيدة الصحيحة والرجوع إلى السلف الصالح ؛ وتغيير ما بالنفس من أثار الانحطاط ...وكان منهجهم قوله تعالى : "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " وسرعان ما قاموا بتوظيف هذه الآية ؛ فأصبح هذا يقول لابد من تبليغ الإسلام إلى المسلمين ... وذلك يلوح بوجوب العمل

[1] - تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر ؛ مجلة الثقافة ؛ عدد 68 – ص 33 .

والتعلم وتجديد الصلة بالسلف الصالح وإحياء شعائر المجتمع الإسلامي الأول "[1]

إن مفهوم الخطاب الإصلاحي " عند رجال الإصلاح في الامة الجزائرية يعنى التجديد "[2] فقد كان يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس أن الإصلاح لابد أن يكون بتطهير العقائد من الشرك ؛ والأخلاق من الفساد " فلا داعي إلى تحقير أنفسنا ؛ ولا موجب للقنوط من رحمة الله ؛ وليس لنا أن نستهين بما نزيله كل يوم من فساد ؛ فبدوام السعى واستمراره يأتى ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله "[3] .

كما كان يرى الشيخ البشير الإبراهيمي أن القضاء على الطرقية هو قضاء على كل باطل ؛ فلن يتم أى إصلاح مع وجود كل هذه الطرق والخرافات فمحاربة هذه الطرقية كان يعنى محاربة للاستعمار بطريقة غير مباشرة ؛ لأنها الداعم الأساسي لهذا الاستعمار وهي من ساعدته على إرساء قواعده في البلاد .

لكن هذا الإصلاح لم يشمل الجانب الديني فحسب – على الرغم من أنه الأساس – بل شمل جوانب الحياة كلها من أجل صلاح المجتمع الجزائري ؛ قال الأستاذ عبد المجيد النجار : " إن الشمول في العمل الإصلاحي من شأنه أن يكسب تجربة الإصلاح توازنا وتكاملا ؛ يؤمّن معهما إهمال جانب من جوانب الفساد ؛ يمكن أن يستشري ويتضخم ؛ فيأتي بالنقض على سائر الجوانب الأخرى التي تحقق فيها الإصلاح ؛ وكم من تجربة إصلاحية كان مآلها الفشل ؛ بسبب اقتصارها على معالجة جانب وحيد من الواقع ؛ وإهمالها لسائر الجوانب الأخرى "[4] .

1 - ينظر ؛ سليم مزهود : مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي ؛ مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (شعبة اللغويات) ؛ لم تنشر جامعة مانتوري قسنطينة ؛ 2007 – 2008 م ؛ ص 79 .

2 - المرجع نفسه ؛ ن ص .

3 - عبد الكريم بو الصفصاف : جمعية ع م ج ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية " 1931 – 1945 " ؛ ص 203 .

4 - نور الدين سوكحال : الشيخ بيوض ابراهيم ومنهجه في الإصلاح ؛ رسالة ماجستير ؛ جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية معهد اصول الدين ؛ قسم الدعوى والإعلام ؛ قسنطينة ؛ الجزائر ؛ ص 191 .

أهداف الخطاب الإصلاحي عند . ج . ع . م . ج :

إن كل من ساهم في عملية الإصلاح في الجزائر كان يرى أنه من أهم مطالبها ومساعيها وأولياتها : محافظة الأمة على شخصيتها ولغتها وديانتها فقد تمسكت الحركة الإصلاحية بهذه المطالب ولم تتوانى يوما على الدعوى إليها والعمل على تحقيقها ؛ كما عملوا على تحقيق أسمى الأهداف الإصلاحية ؛ وأعظم هذه الأهداف هو : " النهوض بالأمة الجزائرية نهضة أخلاقية على أساس الدين والعلم على نور الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الامة "[1] ولا يتم هذا الإحياء إلا بعودة المسلمين " ورجوعهم إلى عقائد الإسلام المبنية ؛ وفضائله المبنية على القوة والرحمة ؛ وأحكامه المبنية على العدل والإحسان ؛ ونظمه المبنية على التعاون بين الأفراد والجماعات والتآلف والتعامل ؛ وأن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى الله ؛ ومن اتقى الله فهو أنفع الخلق لعباد الله ؛ وقد نادى العلماء المصلحون في الجزائر بأن الدين ليس عبادات خرافية ؛ وتوسلات لشيوخ الزوايا ؛ ولكن قبل كل شيء طريق إلى العيش الكريم والحرية العقلية والسياسية "[2] كما دعا الخطاب الإصلاحي إلى : " تطهير البلاد من الخرافات والبدع التى أحاقت بالدين ؛ وخدمة العلم والمسلمين الجزائريين ؛ وإلى تكوين الشعب الجزائري وتثقيفه ؛ وتزويده بالآداب الحميدة والأخلاق الكريمة ؛ وتوعيته اجتماعيا ودينيا ؛ وتعلم الجزائريين لغتهم ودينهم ؛ودعا الجزائريين إلى الحفاظ على جنسيتهم وقوميتهم العربية السامية "[3] .

إن أهداف الخطاب الإصلاحي تتمركز حول إحياء العقيدة الإسلامية في الأمة الجزائرية والقضاء على تلك البدع والخرافات ؛ وقد كانت أكبر هموم الشيخ البشير الإبراهيمي ترسيخ المقومات وتثبيت الذات ؛ ومن أجل تحقيق هذا فقد ركزت جهوده على :

[1] - عمار طالبي ؛ إبن باديس حياته وأثاره ؛دار مكتبة الشركة الجزائرية ؛ الجزائر ؛ ج 3 ؛ ص 212 .
[2] - عبد الكريم بو الصفصاف ؛ ج . ع .م . ج . ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 ؛ ص 363 .
[3] -المرجع نفسه ؛ ص 130 / 134 .

" 1 – نشر اللغة العربية على نطاق واسع بين الجزائريين باعتبارها اهم المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية .

2– إحياء الثقافة العربية ومحاولة بعثها في ثوب جديد يتلاءم مع تطورات العصر وذلك عن طريق توجيه الشباب الجزائري إلى الغاية بالتراث العربي الأدبي في أزهي عصوره ودراسته دراسة متعمقة .

3– التعليم العربي ذو الطابع الديني بصفة عامة لأن سياسة الاحتلال كانت تعمل على القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية وهي اللغة والثقافة العربية والدين الإسلامي "[1]

إن الحركة الإصلاحية قد " قامت أساسا من أجل إعادة بناء المواطن على هدى من الله ورسوله ؛ وبناء الشخصية رسالة تربوية وتعليمية بالدرجة الأولى ؛ وقد كرست الخطابات الإصلاحية جهودها في إعادة بناء الإنسان المسلم العربي ؛ وترشد فهمه لكتاب الله وسنة رسوله ؛ مراجعة فهمه لذاته ورسالتها في الحياة "[2] .

[1] - رابح تركي ؛ التعليم القومي والشخصية الجزائرية ؛ مركب الطباعة رغاية ؛ الجزائر (1931 – 1956) ؛ ط 2 ؛ ص 21 .
[2] - صالح خرفي ؛ المدارس والمعاهد العليا دورها في النهضة العربية الحديثة ؛ المجلة الجزائرية للتربية ؛ عدد 4 ؛ ص 38 – 45 .

1/ الهوية بين اللغة والاصطلاح

أ – لغة :

"قال هوية تصغير هوة وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة وعرشها وسقفها المغمى عليها بالتراب فيفتر واطئه فيقع فيها ويهلك ؛ الهوة ذاهبة في الأرض بعيدة القدر مثل الدحل غير أن له ألجاف والجماعة الهوّ ' ورأسها مثل رأس الدحل ؛ الأصمعي : هوة وهوى والهّوة : البئر : قاله أبو عمرو ؛ وقيل الهوة البعيدة القعر وهي المهوة بن الأعرابي : الرواية عرش هوية : أراد أهوية ؛ فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الهاء المعنى لما رأيت الأمر مشرفا على الفوت مضيت ولم أقم ؛ وفي الحديث : إذا غرستم فاجتنبوا هوى الأرض هكذا جاء في رواية وهي جمع هوة "[1] .

"أما من ناحية الدلالة اللغوية فهي كلمة مركبة من ضمير الغائب هو مضاف إليه ياء النسبة التى تتعلق بوجود الشيء المعنى كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التى يعرف بها "[2]

ب – اصطلاحا :

الهوية ذات إحساس فردي وجماعي بالانتماء إلى شعب من الشعوب يحمل أفراده نفس الصفات ولهم نفس المشاعر والمواقف يسعون لتحقيق الأهداف ذاتها " وهي شعور يرتبط ارتباط وثيق بوجدان الإنسان شعور لا يرضي عنه بديلا لأنه في الحقيقة ناتج عن المصلحة الوثيقة المرتبطة بالواقع المادي والوضعية الاجتماعية بصفة عامة ؛ والهوية قبول للوضع الاجتماعي لأنه في أى وسط اجتماعي متوازن أو مقبول يتولد إحساس يختلف موقفا إنسانيا وانتمائيا نحو جماعة أو قوم "[3] .

[1] - ابن منظور ؛ لسان العرب ؛ دار صبح ؛ لبنان ؛ المغرب ؛ 2006 ؛ ط 1 ؛ ج 6 ؛ المادة (هو).
[2] - أحمد بن نعمان ؛ الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات ؛ دار الامة الجزائرية ؛ د ت ؛ د ط ؛ ص 21 .
[3] - زكي البحري ؛ دور التاريخ في تشكيل الهوية العربية ؛ مصر ؛ د ت ؛ د ط ؛ ص 2 .

والهوية " شعور داخلي للفرد يحدد له ما هيته ؛ وفيما يخص هذا الشعور بالهوية فإن المتخصصين يتفقون حول الافتراض بأن الهوية تتطلب الشعور بالاستمرارية في الزمان والمكان "[1] .

فهوية ظاهرة ما هي ما يجعلها مختلفة عن غيرها أى هي مجموعة الخصائص التى تنفرد وتتميز عن غيرها ومهما تشابه الناس واشتركوا في الخصائص الحضارية والثقافية التى تميز الإنسان عن غيره من مخلوقات فإنهم يعبرون عن أنفسهم إلا من خلال أشكال فردية شديدة الخصوصية وتميز بعضهم عن بعض .

2/ الهوية في الحقول المعرفية

الهوية في الفلسفة :

إن مصطلح الهوية في الأصل ليس عربيا وإنما سعى إليه بعض المترجمين العرب فاشتقوا هذا الاسم من حرف الرباط الذي يدل على ارتباط المحمول بالموضوع في دهره وهو في قولهم زيد هو حيوان أو إنسان " فالهوية التى تدل على ذات الشيء هي غير اسم الهوية التى تدل على الصادق وكذلك اسم الموجود الذي يدل على ذات الشيء هو غير اسم الموجود الذي يدل على الصادق "[2] .

تطلق الهوية أولا على العلاقات الفكرية التى ترفع كثرة المعاني فتردها إلى الوحدة في الإشارة فمثلا " أ " في الهوية مع " ب " معناه أنه على الرغم من الاختلاف في التعبير بين أ و ب فالمقصود بها شيء واحد .

قال الفارابي : " هوية الشيء وعينته ؛ وشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له كل واحد وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك "[3]

[1] - محمد مسلم : خصوصيات الهوية وتحديات العولمة ؛ دار قرطبة ؛ د ت ؛ ط 1 ؛ ص 8 .
[2] - جميل صليبا : المعجم الفلسفي ؛ دار الكتاب لبنان ؛ د ت ؛ د ط ؛ ج 2 ؛ ص 330 .
[3] - المرجع نفسه : ص 530 .

وكانت للهوية معاني متعددة عند القدماء : هي التشخيص والشخص نفسه الوجود الخارجي وقالوا : ما به الشيء هو باعتباره تحققه يسمى عينه وذاته وباعتباره شخصه يسمى هوية وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية وقد يسمى ما به الشيء هو هو ماهية إذا كان كليا كماهية الإنسان هوية إذا كان جزئيا كحقيقة زيد وحقيقة إذا لم يعتبر كلية جزئية قالو " الأمر المعتقل من حيث انه معقول في جواب ما يسمى ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة ومن حيث امتيازه على الأخيار يسمى هوية ومن حيث حمل اللوازم يسمى ذاتا "[1] .

والهوية عند البعض هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في العتيب المطلق وقد قيل أن الافضل أن يطلق اسم الهوية من كان وجود عينه من هسها فهو يسمى بواجب الوجود والملتزم بالقدم والاستمرار والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذ حقيقة الوجود يشرط شيء ولا يشرط لا شيء وقريب من هذا المعنى قولهم " إن الهوية هي الوجود الخالص الصريح المستوى لكل كمال وجودي شهودي "[2]

قال الشاعر :

إِنْ اَلْهَوِيَةُ عَيْنُ ذَاتِ اَلْوَاحِدِ مِنْ مُحَالِ ظُهُورِهَا فِي اَلْشَاهِدِ.

وبما أن للهوية معاني عند القدماء فكان لها كذلك نصيب عند المحدثين وتجلت في أربعة معاني :

[1] - جميل صليبا ؛ المعجم الفلسفي ؛ ج 2 ؛ ص 530 .
[2] - المرجع نفسه ؛ ص 531/530.

1 – تطلق الهوية على الشيء من جهة أنه واحد تقول لنا : إن

وتسمى هذه بالهوية المعددية .

2 – تطلق الهوية على الشخص أو على الموجود المشبه بالشخص إذا ظل هذا الشخص ذاتا واحدة رغم التغيرات والتحولات التى تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده ومنه قولنا هوية الأنا وهوية الفاعل وتسمى هذه بالهوية الشخصية .

3– والهوية صفة موضوعية من موضوعات الفكر رغم اختلافها في الزمان والمكان فهما متشابهان في كيفيات الواحدة وتسمى هذه الهوية بالكيفية أو النوعية .

4– تعتبر الهوية عندهم علاقة منطقية بين شيئين متحدين كالهوية الرياضية أو المساواة الجبرية التى تظل صادقة رغم اختلاف القيم التى تقوم عليها كما في العلاقة الجبرية التالية:

(ب + ج) 2 = ب2 + 2 × ب × ج + ج 2 وتدل على وحدة الطرفين .

الهوية (مبدأ) :

وأما عن الهوية في كونها مبدأ يعتمد عليه فهي القول بأن الشيء هو هو ولا يمكن أن يكون شيء أخر .

– ويعبر عنه بالجملة (أ = أ) أ و أ هي أ في حد ذاته ؛ وهو أي المبدأ لا يصدق على المساواة الرياضية فحسب وإنما على كل علاقة قائمة على منطق .

ومبدأ الهوية هو الأنسب للحكم التحليلي ؛ لأن المجهول في هذا الحكم ليس جزاء من مفهوم الموضوع وإنما هو يعد الموضوع نفسه.

ومن بين مشتقات مبدأ الهوية التناقض ؛ وهذا الأخير هو : " إن الشيء الواحد لا يكون موجودا ومعدوما معا "[1] .

[1] - عبد الرحمان بدوي : موسوعة الفلسفة ؛ دار النشر ؛ لبنان ؛ 1984 ؛ ط 1 ؛ ص 569 .

ويوجد كذلك مبدأ أخر ألا وهو مبدأ الثالث الرفوع . وهذا المبدأ كذلك أعطي له تعريفا : " إن القضيتين لا تصدقان معا ولا تكذبان معا "[1] .

فمبدأ الهوية قائم على شروط ضرورية منطقية أبرزها :

أ- أن يكون الموجود بالحقيقة هو عين ذاته فلا يتغير ولا يختلط به غيره " وهذا لا يصدق في الحقيقة إلا على الموجود المثالي الذي يتجه إليه القول دون التمكن من تحقيقه تحققا كاملا "[2] .

الهوية في علم الاجتماع :

الإنسان بالفطرة سرعان ما يذوب في الجماعة التى ينتمى إليها ؛ فهو ينشأ في مجتمع يأخذ منه صفاته ومميزاته الاخلاقية والسلوكية وسرعان ما تتحول هذه السلوكيات الفطرية إلى أخرى اجتماعية تتلاءم ونمطية المجتمع ؛ فهو ملتصق التصاقا عضويا بالجماعة المكونة من مجموعة أفراد تكون المجتمع ؛ فالإنسان يحلم أحلام الجماعة ويفكر تفكيرها أي أنه يؤثر ويتأثر وهذا التلاحم الموجود بينهما يسمح له بتكوين لشخصيته وهويته من خلال أنماط وأمثلة اجتماعية من طرفه أو من طرف غيره .

فالهوية تكون منظورة بفضل الاحتكاك بالأخر وتكون على شكل تدخل نفسي داخلي ونفسي خارجي أين ترجع إلى أطوار وأشكال اجتماعية للمحيط الذي يعيش فيه الفرد ؛ كما تؤول أو تترجم على أنها ماضي متجدر في حياة الفرد وهذا الماضي يشمل كل أو بعض مراحل حياة الفرد بما فيها من عادات وتقاليد وصفات وطباع وثقافة مأخوذة ومستنبطة من المجتمع " لذلك فالميدان الاجتماعي يعرف الهوية : بأنها عبارة عن عامل من عوامل شخصية الفرد يعطي ويأخذ يفعل ويتفاعل ؛ كما هي بعد متكامل مكونة من استعدادات فطرية ومعطيات اجتماعية ثقافية وعائلية "[3] .

---

[1] - المرجع السابق ؛ ص 570 .

[2] - ينظر جميل صليبا ؛ المعجم الفلسفي ؛ ج 2 ؛ ص 530 .

[3] - فاطمة الزهراء كوسة ؛ أزمة الهوية عند الشباب الجزائري ؛ دار الشركة الوطنية ؛ الجزائر ؛ 2004 ؛ ص 41 .

ومن جهة أخري فللهوية القدرة على إحداث المفارقة بين البعدين الذاتي و الغيري فالهوية " فردية واجتماعية لأن الإنسان وهو يتكفل بهويته لنفسه فإنه في نفس الوقت يفعل ذلك من أجل الآخرين "[1] من هذا التصور لا يمكن للإنسان أن يتصور نفسه بمعزل عن تصور الآخرين له وينبغي وجود تلائم بين الصورة التى يكونها عن ذاته وبين الصورة التى يكونها الآخرين عنه ؛ ومن ذلك فإن حالة الذات بالنسبة للفرد أو المجتمع لا يمكن أن تكون بعيدا عن الآخرين ؛ هذه الصورة تتشكل بواسطة مجموعة من المكتبات سواء تتعلق بالإنسان أو المجتمع هذه المكتبات أو المعارف تكون مصدر للشعور للهوية ؛ ويستطيع من خلالها الفرد أو المجتمع أن يعرف ما يميزه عن الآخرين .

" فالهوية تسعى إلى تحقيق الذات ؛ ذات الإنسان ؛ ذات المجتمع ؛ أي كيان الأمة الذي يستطيع التأثير على الأشياء وعلى الكائنات ؛ هذا الكيان الذي نشعر بأنه قادر على التنمية والتحكم ولو جزئيا في كل الأحداث المرتبطة بالصور الإيجابية للذات ؛ ومن هنا يتضح البعد الدينامكي الحيوي للهوية التى تستطيع أن تقاوم وأن تثبت أمام التحديات والوجهة المعرفية للهوية توضح أبعاد متقاربة ومرتبطة ببعضها وتكون مجموعها الشعور الذى يكون الإنسان عن هويته "[2] ولبيان أهمية الأشياء في حياة الإنسان وواقعه نأخذ " المثال الرمزي للبيت انطلاقا من مقولة غريبة ؛ دلني على بيتك أقول لك من أنت "[3] .

لأن الأشياء مثلا الموجودة في المكتب أو البيت وكيفية ترتيبها والاعتناء بها وتنظيمها داخله قد توحى لنا وتعطى دلاله عن صاحب هذا الكتب أو البيت ومما يدل أكثر ما نلاحظه على الجاليات المقيمة في المهجر ؛ حيث تجدها أفراد وجماعات تتعلق بأشياء قديمة جاؤوا بها وربما منذ مدة طويلة من بلادهم الأصلية .

[1] - محمد مسلم ؛ خصوصيات الهوية وتحديات العولمة ؛ ص 12 .
[2] - المرجع نفسه ؛ ص 14 .
[3] - المرجع نفسه ؛ ص 23 .

فهذه الأشياء بالنسبة إليهم تعكس دلالات وقيم وذكريات معينة تمثل استمرارية الماضي واحتفاظ الفرد ب " الأنا " الذي لا يريد أن يذوب في مجتمع جديد .

وأحيانا نلاحظ أن هناك مزج بين أشياء قديمة عن البلد الأصلي وأشياء جديدة حديثة من البلد المضيف " إن الأفعال والأشياء تتداخل معا من خلال عامل التوازن في تكوين الشعور بالهوية وفي الحفاظ على استمرارية هذا الشعور ؛ كما أن مهمة " الأنا " تكمن في رقي وتحسين مراقبة تجربة وسلوك الفعل وذلك بإيجاد مجموعة العلاقات التى تربط مختلف المظاهر ومراحل الصراع في الحياة "[1] .

وهذا التفاعل يكون داخل المجتمع ويتضح من خلال العلاقات بين الأفراد ؛ فلكل فرد يقوم بدوره ويأخد مكانته ؛ فهو يؤثر في المجتمع ويتأثر به وبذلك يكون الفرد وجهان لعملة واحدة واحدة يكونها عن نفسه والأخرى يكونها الآخرون عنه ؛ فالإنسان حيث يكون صورة للهوية بكل أبعادها ؛ فهو يريد أن يعترف الآخرون بهذه الصورة ؛ فالأخر هو الوسيلة التى تساعد الإنسان على التعرف على صورته الحقيقية ؛ فأهمية الاخر تكمن في كونه يعكس للفرد صورته الحقيقية عن هويته ؛وهذه العملية بمثابة المرآة العاكسة الكاشفة للعيوب والمحاسن "الهوية بحاجة الى الأخر حتى تحقق مدلولا معينا لأن هذا الأخر هو الذي يؤكدها أو ينفي بعض أبعادها ؛ فهو شريك في وجودها أو في إضعاف قيمتها ؛ والهوية الجماعية تعتبر عنصر تجانس وتماسك للمجتمع حيث يجب أن نضفى " نحن" على " أنا" ويظهر هذا جليا في صلاتنا حيث نتلوا : "إهدنا الصراط ألمستقيم " ولو قال "إهدني" لبطلت صلاته"[2] .

[1]- المرجع السابق ؛ ص 24 .
[2]- المرجع نفسه ؛ ص28

" كما أن الهوية الاجتماعية للفرد مرتبطة بمعرفته لانتمائه الى فئات إجتماعية معينة ومرتبطة بالدلالة الوجدانية كذلك هذا الإنتماء إلى فئة أو مجموعة تتولد عن نتائج مرتبطة مباشرة بالإعتراف بالهوية الإجتماعية ؛ لأن إرتباط الفرد وإنتمائه إلى فئة ما يظل قائما ما دامت هذه الفئة تعزز المظاهر الإيجابية لهويته وتفوق شعوره بالتقدير لذاته "[1] .

فالفرد عندما يذوب في جماعة ما فهو يتأثر بها ويظهر هذا جليا إنطلاقا من الأسرة ؛ في المحيط ويمتد إلى النوادي والجمعيات حتى يصل في النهاية إلى الدول والأمم ومن ذلك فإن الفرد يعد جزء لا يتجزأ من المجتمع ولا يستطيع أن يبني هويته بمعزل عن المجتمع ؛ والمجتمع هو الآخر يعتبر الجزء الأكبر لهوية الفرد ؛ وهويته تتجلى برؤية مختلفة متعددة بحسب الأفراد في المجتمع ؛ فالهوية شعور داخلي لا يمكن إخراجه إلا من خلال المجتمع ودور الجماعة بالنسبة للأفراد ؛ ومنه فالفرد في مضمونه إجتماعي ولديه طابع جماعي يؤثر ويتأثر بالجماعة التي ينتمي إليها.

[1] - المرجع السابق ؛ ص 42

ج : الهوية في علم النفس:

لقد أخذ مصطلح الهوية نصيب كبير لدى الباحثون ومن جميع جوانبه المعرفية المرتبطة عموما بميدان علم النفس إذ نظر إليه من الجانب المرضي كما هي الحال عند عميد المدرسة التحليلية ورائدها الأول " فرو ليد سيقموند " عند تناوله لموضوع الهوية عند الهستيري ؛ أما فيما يخص علم النفس الاجتماعي فهو عبارة عن عامل تجسيد شخصية الفرد يفعل ويتفاعل ويتأثر ويؤثر .

فالهوية بحالة نفسية كما يفسرها التيار التحليلي وعلماء النفس تتطور بفضل الاحتكاك بالأخر وتدخل في تعامل وتداخل خارجي نفسي أين ترجع إلى أنماط وأشكال اجتماعية يحددها المجتمع والمحيط الذي يعيش فيه الفرد .

ويعتبر " فرويد " مرحلة الطفولة بالمحدد الرئيسي للهوية إذ أن الاتجاهات تمثل تجمعات تحتوى على الدوافع الغريزية والقوى الضابطة " للأنا " أما فيما يتعلق بالقوى الضابطة للأنا " هي العملية السيكولوجية الضابطة مثل الإدراك والتذكر والحلم والتميز كما يستخدم الأنا قدرا من الطاقة لكبح جماح من " الهو" كي لا يتصرف بإندفاع وإذا ما أصبح الهو مصدر تهديد بالغ فإن " الأنا " يبني الدفاعات حياله ويستخدم " الأنا " بوصفه للجهاز الإداري لتنظيم الهوية وذلك بإقامة تكامل بين نظمها الثلاثة هي :

"الأنا " "الهو " الأنا الأعلى " "[1]

إن هدف هذه الوظيفة التكاملية للأنا هو إيجاد تآلف داخل الشخصية حتى يستطيع "الأنا" إقامة صلة وعلاقة بالبيئة .

[1] عاطف وصفي : الثقافة والشخصية ؛دار النهضة العربية ؛ لبنان؛ 1981 ؛د ط ؛ ص 125.

يعد " جورج جووديك" كذلك هو أول من إستخدم ID كمصطلح في التحليل النفسي "ليدل عل أمر شخصي في الطبيعة الإنسانية ويقوم مبدأ الهوية على أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو عليه "[1] .

كما تدل الهوية أيضا على التشخيص وقد تطلق على الكيان أو الوجود والجوهر والماهية وهي جهة ما هو واحد ويرجع الفضل إلى "آريك إيركسون " في شيوع واستخدام هذا المصطلح التقمص – على نحو نفسي بوصفه الهوية أو ذاتية الفرد بحيث يكون للإنسان باستمرار وجود متميز عن الآخرين و طور" إيركسون"هذا المفهوم وأرجعه إلى محور لتصوراته النفسية عن الهوية التي تحدث فيها عن الأنا وعرفه بقوله"هو ذلك الشعور الذي يهيئ القدرة على تجربة ذات المرء كشيء له إستمراريته وكونه هو نفس الشيء ؛تم التصرف فيها لذلك "[2] .

ويرجع تطور الأنا إلى تطور الهوية فكلما نمت الأنا فالبضرورة سوف تنمو الهوية أعتبر فرويد مرحلة الطفولة هي التي توجد فيها الهوية في حين أعتبر "إيركسون" مرحلة المراهقة هي مرحلة أزمة الهوية ففيها تتأثر الصراعات وتبلغ حد ألذروة ؛ إما أن تكون الهوية بالثقة في النفس وبالآخرين والشعور بالاستقلال أى أن الحياة تستمد وجودها ومقدماتها من الاجتهاد والمثابرة وإما إلى عدم تعين الهوية ؛ حيث فقدان الثقة والشعور بالخجل والشك والعيش لهبا الدين والدنيوية والتساؤل الذي يطرحه المراهق حسب إيركسون هو " تساؤل ينطوى على بحث عن كينونته وعن ومعنى فرويد للوجود وعن " هوية " تتمايز عن هويات الآخرين في استمرارية تجعل من الأنا هوية فريدة ومغايرة لهويات الآخرين "[3]

[1] -فاطمة الزهراء كوسة ؛ أزمة الهوية عند الشباب الجزائري ؛ ص 41
[2] محمد إبراهيم عيد ؛ الهوية والقلق والابداع ؛ بيروت ؛ 2005 ؛ ط1 ؛ ص 19
[3] - المرجع نفسه ؛ ص 19- 20 .

3/ آليات اكتساب الهوية

3 -1 – التقمص :

وتحمل هذه الكلمة معنيين إثنين هما :

الاول هو ما يقوم به الفرد من أعمال من أجل التعرف على شيء ما ؛ من خلال جملة من الصفات ثم تصنفه في فصيلة من المعارف أما المعنى الثانى فهو العمل الذي يقوم به الفرد ليشبه أو يتطابق مع شخص أخر فيتبنى بذلك بعض مميزاته كما هو الحال في عملية إندماج فرد أو فئة قليلة في مجتمع أوسع " فهي في الأصل عملية نفسية يستطيع الفرد بواسطتها أن يستوعب صفة أخرى أو مظهرا ما فيتحول بالتدريج إما جزئيا وإما كليا ليصيرا على نمط أخر " [1] .

من خلال ما قيل سابقا يمكن ان نميز عمليتين تتدخلان في تكوين الهوية في أي وقت من نمو الطفل وتؤثراني عليه طيلة حياته وتتماشى معه طيلة وجوده ؛ واحدة لها وظيفة دفاعية هدفها طمأنة الفرد وذلك بالسماح له بالهروب الناجم عن الصراع بين قوة رغباته ومتطلبات الاخر ؛ والثانية ذات وظيفة بناءة من شأنها بسط نفوذه على الآخرين وقدرته على الحماية

3-2- دور الافعال والأشياء :

من آليات اكتساب الهوية الافعال والأشياء لكونهما جزءا من المحيط العام الذي يعيش فيه الفرد

أ- **دور الأفعال :** يرى BOESCHE-T" أن الفعل يعتبر من أساسيات الهوية نظرا للعلاقة المتبنية التى تربط الذات والأنا لإن الأنا يعتبر عملية تنطلق من التجارب المرتبطة

[1] - محمد مسلم ؛ خصوصيات الهوية وتحديات العولمة ؛ ص 16 .

مباشرة بالفعل " إن الفعل يحدد للفرد نوعية من التصور الأول يتعلق بنوعية الشيء حتى لو كان هذا الشيء ضمن الفعل مثل الاطوال والأشكال والألوان وغيرها ؛ أما الثانى فيتعلق بالنشاط الداخلي الخاص بالفرد مثل الجهد المبذول الشعور والإحساس "[1] .

إن مختلف الأنشطة وما يرافقها من الأحاسيس الذاتية الداخلية هي التى تؤذي بالفرد إلى تكوين أشكال وكيفيات خاصة به تكون قاعدة لبناء هويته .

ومن هنا يتضح بأنه إذا كانت قوة تأثير الفعل ترجع إلى الإغراء والأمل وإلى الضغوط التى على ضوءها يحاول الفرد توجيه أفعاله ؛ فإن الطاقة الوظيفية يمكن تعريفها على أنها القدرة التى يسندها الرفد إلى نفسه ويستند عليها للقيام بالفعل ذو تأثير الإيجابي أو للإبقاء على الفعل ذي تأثير السلبي .

ب – دور الأشياء :

إذا كانت هوية الأنا لابد لها من آليات توازن داخلية فإنها تتطلب بالضرورة آليات توازن خارجية للحفاظ على استقرار الأنا .

لماذا الأشياء التى تحيط بنا تشكل جزء من هذه الآليات ؟ ربما للعلاقة الموجودة بين الشيء والفعل لأن لكل فعل شيء ما وكل شيء إنما يعرف من خلال قيمته الوظيفية من جانب أخر فإن الشيء يمثل لدى صاحبه جانبا نفسيا مهما جدا قد يرمز إلى ما في الذكريات وإلى تطلعات ولهذا كله " فإن القيمة الذاتية للشيء تجسد الأبعاد التى من خلالها يحاول الفرد أن يعرف نفسه لذلك فإنه ينزع بطبعه إلى الإبقاء على الاشياء التى لها وظيفة وطاقة إيجابية "[2] لأن الأشياء تعتبر من الثقافة التى لها رمزية خاصة في حياة الفرد والمجتمع وهذه الأشياء

[1] - المرجع السابق ؛ ص 21 .
[2] - المرجع نفسه ؛ ص 23 .

يكون لها يد في تكوين التراث الذي هو بدوره يشكل جانبا من هوية الفرد أو المجتمع ؛ وقد تكون لهذه الأشياء دلالات رمزية لها معانيها العميقة في ثقافة المجتمع ومن ثم أهمية الارتباط بها إلى درجة الاعتزاز الافتخار ودليل ذلك يظهر جليا عند الجاليات المقيمة في المهجر حيث نجدها فردا وجماعات تتعلق بأشياء قديمة جاؤوا بها منذ مدة طويلة من بلادهم الأصلية ؛ فهذه الأشياء بالنسبة إليهم تمثل قيم وذكريات معينة تمثل استمرارية الماضى وحفاظ الفرد بالأنا الذى لا يريد أن يذوب في مجتمع جديد وأحيانا نلاحظ عملية الجمع بين أشياء قديمة عن البلد الاصلى وأشياء جديدة تأكد على أن الأفعال والأشياء تتداخل معا من خلال عامل التوازن في تكوين الشعور بالهوية والحفاظ على إستمراريته.

3-3 دور الأنا في تحديد الهوية :

تعتبر مساهمة " إيركسون " في تطوير مفهوم الهوية الجوهرية للغاية لأن دراسة وجهة معظم الدراسات النفسية والإجتماعية الحديثة حتى هناك من الباحثين من يعتقد بأن تاريخ ميلاد الهوية مرتبط بأعمال إيركسون الذي يرى بأن وجود شعور قوي بالهوية إنما هو نتيجة الوصول التدريجي الذي عبر عنه بمصطلح – تطور الحياة – وذلك لأن الطفل سيجتاز عبر كل طفولته عدة مراحل ليصل في النهاية إلى كمال الشخص أي التوازن الكلي ؛ فهوية الأنا تعطي للإنسان فرديته الخاصة به بحيث يشعر بالتشابه مع ذاته وبالإستمرارية التى تعطي دلالة بالنسبة للأخرين الذين هم أيضا لهم دلالاتهم في المجتمع وعلى هذا الأساس يعرف إيركسون عملية الأنا كالآتي " مبدأ التنظيم الذي بواسطة يحافظ الفرد على بقائه كشخصية متماسكة مع ماهية وإستمراريته في تجربته الذاتية و واقعيته مع الآخر "[1]

[1] - محمد مسلم ؛ خصوصيات الهوية وتحديات العولمة ؛ ص 24

وتكمن مهمة الأنا في رقي وتحسين و مراقبة تجربة وسلوك الفعل وذلك بإيجاد مجموعة العلاقات التي تربط مختلف مظاهر ومراحل الصراع في الحياة ؛ فالأنا هو البنية الداخلية التي تصاحب الفرد طيلة الطفولة وتساعده على أنواع التقمص المختلفة التي تسمح له بالاندماج التدريجي لصور الذات حتى يكتسب في الأخير هويته الخاصة .

يرى إيريكسون أن الذات "تأتي مرادفة ل "أنا" ويمكن القول عندها بأن هوية الذات تنبثق من التجارب التي تصبح الذوات المضطربة فيها مؤقتا مندمجة بنجاح في مجموعة أدوار تضمن لها اعتراف إجتماعيا ؛ وهكذا يمكن أن نؤكد بأن تكوين الهوية يتجاوب مع الجانبين : الجانب الأول هو الذات أو ما الجانب الثاني فهو الأنا "[1] .

فالأنا يعد هيئة التنظيم المركزي التي تعتمد على الذات المتغيرة ؛وبالفعل فإن الذات تستغرق تغيرات عبر مختلف المراحل الحياة و خاصة مرحلة المراهقة عند الشباب الذين يتعرضون لبعض الاضطرابات وتغير في بعض المفاهيم ؛ يظهر معها الأنا في بعض المواقف هشا لأنه قد يصبح موطن شك أمام هذه الأحداث والتقلبات وبناء على ذلك فإن الأنا تعتبر محددات الهوية لأن كل تجدد في الذات يتضمن بالضرورة تجديدا في الهوية كما أن كل خلل في الذات يحدث اضطرابا في الهوية وفقدان للأنا ؛ فالأنا تتحد أيضا بالنسبة للغير.

3- 4 – دور الغير في تحديد الهوية :

يولد الإنسان وينشأ في مجتمع يأخذ منه صفاته ومميزاته الأخلاقية والسلوكية تتحول بذلك سلوكا ته مكانتهم الموروثة الفطرية إلى سلوكات اجتماعية ملائمة لنمطية المجتمع ؛ وداخل هذا المجتمع وضمن عملية التفاعل يأخذ الأفراد الاجتماعية للفرد حينئذ قيمتان :

[1] المرجع السابق ؛ ص 27

– قيمة يكونها عن نفسه .

– قيمة يكونها الغير عنه .

وهاتان القيمتان قد تتطابق وقد لا تتطابق ويحدث تباعد بينهما لذلك فإن الإنسان حيث يكون صورة وشعورا لهويته بكل أبعادها فإنه يريد أن يعترف له الغير هذه الصورة ومن تم فإن الغير يلعب دورا فعال في تبيان صورة الإنسان الحقيقية ومنه يظهر دور الغير في تحديد الهوية ويؤخذ في هذا الصدد " كودوا" " بأن هناك فرقا بين شعور الفرد بهويته كما يعيشها هو وبين مدى تصورها من طرف الغير أي أن هناك فارق بين صورة الفرد عن ذاته وبين الصورة التى تتكون عند الغير عنه الأمر الذي يدفع الفرد إلى اللجوء إلى أساليب وسلوكات جديدة قصد تحسين صورته لدى الغير حتى تصير مطابقة لصورته هو عن ذاته"[1]ومن هنا فإن أهمية الغير تعتبر أهمية فعالة في كونه يعكس للفرد صورته الحقيقية عن هويته أو عملية الانعكاس هذه تشبه المرآة الكاشفة للعيوب والمحاسن إذ لا يستطيع الفرد من دونها إدراك حقيقة أى عيوبه ومحاسنه دون أن ينبهه الغير وبهذا فإن الغير ذا قيمة ومكانة مرموقة بفضله يمكن أن تحدد هوية الأنا وقد تحدث عن دور الغير كثيرين

قال أحدهم " إن علاقة الفرد بالغير تعتبر وسيلة يعزز بها الإنسان هويته الذاتية ويبنى

بواسطتها صورته عن ذاته كما أنه لايمكن الفصل بين الهوية الخاصة بالفرد والهوية الموجهة للغير لأن الفرد يريد دائما أن يثبت نفسه ويحقق ذاتيته ويفرض شخصيته أمام الغير"[2] .

إذا فإن الهوية في حاجة ماسة إلى الغير حتى تحقق مدلولا معينا لأن الغير هم الذين يؤكدونها أو ينفوها ؛ فالغير إذا شريك في وجودها وفي إضعاف قيمتها أي أن الهوية مرتبطة

[1] - محمد مسلم : خصوصيات الهوية وتحديات العولمة ؛ ص 28 .
[2] - المرجع نفسه ؛ ص29 .

بالغير إرتباطا جديا وثيقا فالهوية والغير وجهان لعملة واحدة ؛ فبدون الغير لا توجد هوية وبدون الهوية لا يمكن إيجاد الغير أي أنهما مكملان بعضهما فلا إفراط ولا تفريط .

4- أنواع الهوية :

الهوية الفردية :

هي تلك الصفات الخاصة بكل فرد والتي تميزه عن غيره وتكسبه طابع شخصي فردي معين "تعتمد أساسا على المميزات الجسدية التي تميز كل كائن بشري عن الاخر من بين ملايين البشر في المعمورة وأبرز مثال على ذلك بصمات الأصابع التي تحدد أو تثبت هذا الاختلاف علميا"[1] كما تعرف أيضا بأنها " مجموعة الخصائص الجسدية والنفسية التى يتميز بها كل إنسان بين أقرانه "[2] وإذا انتقلت الهوية من الأفراد إلى الأمم لم تعد خاصة بالفرد بل أصبحت هوية أمة بأكملها أو ما يمكن أن نسميه الهوية القومية " هي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التى تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها والتى تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتها تلك عن سواهم من أفراد الأمم الأخرى "[3] .

الهوية القومية ليست نفسها الهوية الوطنية فالأولى تتعلق بالأمة والثانية بالدولة فالأولى أي القومية أعم وأشمل من الوطنية إذ أن هذه الأخيرة " تعنى إيجاد تطابق أو توافق أو توازن بين الكتلة الإجتماعية ديموغرافيا ؛ ورقعتها الجغرافية التى تمارس عليها نتاجها الإجتماعي ؛ تعبر من خلالها عن نفسها عبر نمطها الثقافي الخاص بها "[4] والهوية القومية لها إرتباط عميق ووثيق بالهوية الثقافية " حتى إن بعض الباحثين لا يفرق بين الهويتين ؛ ويذهب إلى أن الهوية القومية ذات سمات ثقافية بالأساس وإذا سلمت بأن مصطلح القومية

[1] - أحمد بن نعمان : الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات ؛ دار الأمة الجزائرية ؛ د ت ؛دط ؛ص 23

2 - محمد صالح الهرماسي ؛ مقاربات في اشكالية الهوية ؛ المغرب العربي المعاصر ؛ دار الفكر ؛ لبنان ؛ دار الفكر سوريا ؛ د ت ؛ ط 1 ؛ ص20

[3]- أحمد بن نعمان ؛ الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات ؛ ص 23 – 24 .

[4] - محمد الصالح الهرماسي ؛ مقاربات في إشكالية الهوية ؛ المغرب العربي المعاصر ؛ ص 20

يعني تلك الروابط الموضوعية والروحية والشعورية والتى تجعل جماعة ما تختلف عن غيرها وأن الثقافة هي محصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع "[1] .

وفي الأخير نستخلص أن الهوية القومية متحققة في التاريخ ومعطى يكاد يكون جاهزا في حين أن الهوية الثقافية تغلب عليها الصيرورة والتطور والتفاعل سلبيا وإيجابيا مع غيرها من الهويات الثقافية حيث تتلاقى ثقافات الشعوب المختلفة

[1] - المرجع نفسه ؛ ص 20 – 21 .

الفصل الثاني

المبحث الأول : الجوانب الشكلية في نص الإبراهيمي

أ – القالب

ب – طبيعة العنوان

ج – المفردات والتراكيب

د – اللغة والعمق

هـ – المحسنات في أسلوب الإبراهيمي

المبحث الثاني : أبرز المضامين في نص الإبراهيمي

أ – الإلتزام

* تمهيد

* الإبراهيمي والإلتزام

* قاعدة الإلتزام بالنزعة العقلية واستخدام

القواعد المنطقية .

ب – بين النزعتين الخطابية والعقلانية

ج – الإستمداد من التراث " الإقتباس والتضمين وما يتصل بهما

الإبراهيمي الخطيب :

إن الشيخ البشير الإبراهيمي " يعد أول من حقق النثر الفني في الأدب الجزائري و أول من استطاع أن يقدم للإرث الادبي زادا شهيا يغذي النهضة الأدبية في الجزائر ؛ بطريقة حية تجمع بين عنصري القدم والحداثة "[1] .

وقد استطاع الإبراهيمي بمقلاته وخطبه أن يبلغ مراتب التأثير في العالم العربي ؛ كما أثبتت كل هذه " صراحة المنطق ؛ ووضوح الحجة ؛ وروعة الأسلوب ؛ وعمق الفكرة ؛ شمولية الهدف " [2] ؛ فقد حدد الشيخ نقطة البداية في دقة وعناية ؛ حين رأى أن الذاتية الجزائرية هي التى يجب أن تفرد بادئ ذي بدء ....[3] لذلك كانت معرفة الذاتية الجزائرية في رأس ما دعا إليه ؛ولذلك عرّف بالشعب والأرض ؛ ووضح مفهوم الأمة الجزائرية والوطن الجزائري ؛ وفتح الأعين على المقاومات الأساسية للجزائر .

كما اعتمد في كل ذلك " أسلوبا هو أشد ما تكون الاساليب رصانة ؛ وأقوى ما تكون جزالة وأقدر ما تكون على التفنن في المعالجة ... وهو أسلوب طالما كافح من أجله...ليس من اليسير أن يقف الإنسان أمام هذه الربوة التى لا يبلغها الماء ؛ والغاية التى لاتدركها الوجناء صاحب الطبع الصقيل ورب اليراع الأثير ؛ ومعجزة الخبر والخير"[4] .

فالإبراهيمي ورغم صرامة أسلوبه وقوته إلا أنه يعبر عن ثقافته العربية وقوة لغته ؛ كما أنه جمع بين الفكرة الإصلاحية في مضمونه ؛ وبين الجمال الأدبي في تعبيره ؛ فاللغة عنده ليست فقط وسيلة ولكنها هدف أيضا وعليه فكل هذا وذاك سنراه من خلال الخطبة التى بين أيدينا " الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر " .

---

1 - محمد عباس ؛ البشير الإبراهيمي أديبا ؛ رسالة ما جستير منشورة ؛ كلية الأداب قسم اللغة العربية جامعة بغداد ؛ العراق – 1404ه – 1983م ؛ ص 135

[2] - المرجع نفسه ؛ ص 186 .

[3] - شكري فيصل ؛ مجلة الثقافة ؛ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة ؛ وحدة الطبع المتعددة ورشة أحمد زبانة ؛ الجزائر 1985 ؛ ص 183 .

[4] - محمد البشير الإبراهيمي ؛ عيون البصائر ؛ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ؛ الجزائر 1978 ؛ ج 2 ؛ ص 07 .

المبحث الأول : الجوانب الشكلية في نص الإبراهيمي

أ – القالب :

صب الإبراهيمي أفكاره في نصوص من نوع خطب ؛ فالخطبة نوع من الكلام يلقى في الناس وغايته التأثير والإقناع وتبنى الخطبة عادة على ركائز ثلاث :

1 – المقدمة : وهي أسطر قليلة تهيئ القارئ لتلقي ما يعرض فيها .....

2 – العرض : وفيه يصول صاحب الخطبة ويجول مبرهنا أو مدافعا أو شارحا ماتناوله من أفكار .

3 – الخاتمة : وهي أسطر قليلة– في حجم المقدمة– يحاول فيها صاحبها التأثير على القارئ ؛ مع التعبير عن الشعور العام النهائي ؛أو إبداء الرأي ؛ أو تلخيص موضوع الخطبة في واقع الأمر أن قارئ خطب الإبراهيمي يلاحظ أنها تتميز بطابع بنيوي ؛ مرن فقد تميز الإبراهيمي وعرف : " بقدراته الخطابية ونبرته التي لاتجاري في خطبه ؛ ومقدرته التي كانت تدفعك الى أن تتخيل حين كان يتحدث الى الناس أنك أمام حكيم من حكماء العرب وخطيب من خطبائهم "[1] فأما عن المقدمات فالملاحظ أن الإبراهيمي يدخل مباشرة في صلب موضوعاته غالبا ؛ بحيث يتناول جوهر الشيء المعالج بدون سابق انذار ؛ "والمقدمات غالبا ماتكون عند الإبراهمي من البديهيات أو المشهورات أو المسلمات التي لا يعترض عليها معترض "[2] وماقيل عن المقدمة يقال عن الخاتمة ؛ فغالبا ما ترد قصيرة جدا مقارنة بحجمها .

فمثلا في هذه الخطبة لا وجود لمقدمة ..... فالمقام لا يحتاج الى مقدمة فهذا النص بالنسبة اليه تصوير لحال الشباب وما آل اليه من تدهور في جميع النواحي ويريد الإبراهيمي لهذا الشباب النهوض والإقدام دون خوف من المستعمر معتمدا على العقيدة الإسلامية والأخلاق الفاضلة .

[1] - فيصل شكري : منهج التفكير عند الإبراهيمي : مجلة الثقافة ؛ ورشة أحمد زبانة ؛ الجزائر ؛1985 ؛ ص 190

[2] السعيد بوبقار : فلسطين في أدب الإبراهيمي : ؛ بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير لم تنشر ؛جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة ؛ كلية الآداب واللغات 2007-2008 ؛ ص 148

أما عن الخاتمة فقد أعطى لهم أهم شيء ليتمسكوا به وهو الدين وكلما تمسكوا به لن يضلوا أبدا وفي الأخير : " يا شباب الجزائر هكذا كونوا .....أو لا تكونوا " .

ب – طبيعة العنوان :

الملاحظ أن العنوان خبرى "كما تمثله لي الخواطر " لأن هذا الموضوع لايحتاج الى إستفهامات أو نداءات –إنشائي – لأن أساس قيام الأمة ونهوضها هو شبابها ؛ لذلك تناول الإبراهيمي بكل صرامة وجدة .

ج– المفردات والتراكيب :

إن المفردات والتراكيب تتحدد عنما تتحدد المناسبة فهي التي تفرض غرابة الكلمة أو بساطتها أو عجمتها أو عاميتها ؛ فإن "أسلوب الإبراهيمي كان يجمع بين الغاية بالفكر واللفظة معا ؛ وهذا أمر طبيعي لأن اللفظة هي قالب الفكرة "[1] .

فالأبراهيمي يميل غلى المفردات الصعبة وربما هذه الصعوبة ترجع غلى نشأته وسعة محفوظه من النصوص الدينية ومن الثراث العربي الإسلامي في جميع فروعه ؛ شعرا ونثرا ؛و أمثالا ولغة ؛وسيرا وتاريخا .

[1] المرجع السابق ؛ ص 155

د- اللغة :

تميزت اللغة عند الإبراهيمي بطابعها الشعري ؛ حيث لم يستطع الإبراهيمي الإبتعاد عنها رغم إختلاف المواضيع التي خاضها ؛ وتظهر هذه الشاعرية في الغاية الشديدة بموسيقى العبارات ؛ والميل إلى السجع ؛ والإستشهاد بالأشعار في أحيان كثيرة كما في قوله : أحب منه مايحب القائل :

أُحِبُ اَلْفتَى يَنْفِى اَلْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ *** كَأنٍّ بِه مِنْ كُلِ فَاحِشَةٍ وَقَرا

وأهوى منه مايهوى المتنبي:

وَأَهْوَى مِنْ اَلْفِتيَانِ كـلَ سَمَيْذَغَ *** أَرِيبُ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيُ اَلْمقُومِ

خَطَتَ تَحْتَهُ اْلعَيشُ اَلْفُلَاةُ وَخَالَطَتَ *** بِهِ اَلْخَيَلُ كُبَاتَ اَلْخَمِيسِ اَلْعَرَمْرَمِ

فقد إعتنى الإبراهيمي بالمفردة من خلال دقتها الدلالية والإيقاع الصوتي كقوله :جامحا عن الأعنة الكابحة ؛محجاما عن الصغائر ؛ أرخت أعصابه ؛وأثنت شمائله ؛وخنثت طباعه ؛مخضوضر اللحا مسلنطح البطاح .

ولغة الابراهيمي ومفرداته ذات مستويات متفاوتة من حيث السهولة والصعوبة فمثلا نجد من بين الالفاظ السهلة :غير صخَّاب ولا عيَّاب ولا مغتاب ولا سباب اما من حيث الصعوبة زدت مسلنطخ البطاخ المراس؛ البرس؛ الأخس الأوكس . فنجدها في حاجة الي العودة الي القاموس القديم للغة العربية ....وبعضها ذات طابع اسلامي او مقتبس من القرآن :"يرى كل عربي أخا له أخوة الدم ؛وكل مسلم أخا له أخوة الدين ؛وكل بشر أخا له ؛ أخوة الإنسانية ؛ ثم يعطي لكل أخوة حقها فضلا أو عدلا " ؛ " أتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع ؛ إقبال النحل على الأزهار والثمار لتصنع الشهد والشمع ؛ مقبلا على الإرتزاق " .

–وتميز نص الإبراهيمي بوجود المفردات ذات الطبيعة والطابع اليدوى المتعلق بحياة العرب في باديتهم وفي بيئتهم الصحراوية فنجد وكره البطاح .....وغيرها أما العبارة فكثيرة منها : شهامة الفؤاد ؛ نشاط الجوارح ؛ وفاء السموأل.....

العمق :

"اللغة في أدب الإبراهيمي الخلية الحية لمقياس درجات العمق التي يرتفع إليها أدبه ؛ ويلتقي عنده مفهوم اللغة مع مفهوم الأدب ؛ ويصبح محتوى العمل الأدبي عنده – أيضا – أفكارا قائمة بذاتها ؛ لأن اللغة المستعملة عنده عميقة في ذاتها ؛ وعميقة الدلالات والتفسيرات لا من حيث المتانة والقوة فقط ؛ ولكن من حيث المقصود والمفهوم الذي تحمله معها ؛ ومن حيث إرتباطها بالمضمون الذي تنبض داخله ؛ ومن حيث الفكرة التي يبتغيها صاحبها بقلمه "[1] .

هذا العمق عند البشير فقد كان وليد تجربة طويلة ؛ وخاصة من خلال اتصاله بالمجتمع اتصالا مباشرا وإطلاعه الواسع على خصائص مجتمعه بإيجابياتها وسلبياتها ؛ فترتب على أعماله حصر للمشكلات الأساسية بنظرة عميقة وكان يرى أنه من أهم المشاكل التى يجب معالجتها والأخذ بيدها لتنهض وبها تنهض وتنمو الأمة وترتقي وهم الشباب .

فمن خلال الخطبة التى بين أيدينا عرفنا أن اللغة العميقة وكانت في صميم الموضوع وكل فكرة كان يتطرق إليها يبدع ويتقن فيوصل الفكرة على أكمل وجه دون نقصان أى بأتم معنى الكلمة وبالتالى فالعمق في الأفكار كان موجودا وهذا ندركه من خلال .

أولا : الألفاظ تتجاوز حدودها إلى معان ندركها بالتأمل والتدبير....

ثانيا : تكون ثمينة وقيمة ؛ وذلك لأنها تخلق لذة عقلية .

[1] محمد عباس : البشير الإبراهيمي أديبا ؛ ماجيستير ؛ ص 332 .

هـ – المحسنات في أسلوب الإبراهيمي :

في البداية نحب الإنطلاق من الذائع الشائع لدى بعض الذين يدرسون انتاج الأدباء الجزائريين ؛ من أن أساليب البيان العربي في هذه الفترة هي إمتداد العصور ما قبل النهضة وإستمرارها .

إن هذه التى أسموها المحسنات البديعية ؛ وأقبلوا يكيلون لها كل هذا النقد ليست هي المسؤولة عما لحق بالأدب العربي من مظاهر الضعف ... وإنما يسأل عن ذلك أولئك الذين إستعملوا هذه المحسنات والطرائف الجافة التى لازمت عملهم ؛ ونضوب الثورة الفكرية عندهم نضوبا ترك أثاره القاسية على إنتاجهم الأدبي .

إن هذه المحسنات أدوات ..والأداة ليست شيئا .. وإنما اليد التى تستعمل هذه الاداة هي المسؤولة عما تعمل بها .

إن الريشة والأصباغ في يد الفنان الماهر هي طريقة إلى التعبير عن فنه فالمحسنات البديعية لون من التطور الذي أصاب الأدب العربي في عصور إزدهاره ؛ فهي نوع من العناية باللفظ والجور على المعنى ؛ وأنها ضرب من تغليب الشكل على الموضوع ؛ وأنها لون من إهمال الأفكار لتجميد العلاقات الشكلية .

إن إعتبار هذه المحسنات من الشكل ونسبتها إليها كان مصدر الخطأ الكبير والبعد عن الحقيقة يبدأ من زاوية قصيرة ثم يتسع حتى تصبح الحقيقة في جانب والإتهام في جانب أخر بعيد .

ومن بين هذه المحسنات البديعية الموظفة في خطبة الإبراهيمي :

التشبيه في قوله كالدينار يروق منظرا ؛ وكالسيف يروع مخيرا ؛ وكالرمح أمدح ما يوصف به أن يقال ؛ حيث شبها نشاط الشباب وجدهم في إتخاد القرارات وعدم الرجوع فيها بحدة السيف في المعارك .

وفي هذا المثال صورة بيانية وهي الطباق وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام وله أسماء مختلفة ؛ المطابقة التضاد والمقاسمة وغيرها وهو أسلوب بديعي ضروري في إيضاح المعاني و توصيلها إلى النفوس في صورة جميلة لأن الأشياء تتميز بأضدادها مثل حلف عمل ≠ حليف بطالة .

المبحث الثاني : أبرز المضامين في نصوص الإبراهيمي

أ – تمهيد :

ولاشك أن مفهوم الإلتزام كمصطلح نقدي ظهر حديثا ؛ لكن الإلتزام – كظاهرة – موجودة منذ القديم ؛ وفي كل عصر خصوصا حيث يولد نزاع حول الواجبات التى تفرضها أنواع الصراع السياسي أو الإيديولوجي وإذا رجعنا إلى المشكلة من الوجهة التاريخية في أدبنا العربي وجدناه يرتبط بمجتمعاته الماضية والحياة التى عاشتها هذه المجتمعات من بدوية وحضرية فالإلتزام إذا رسالة وأول ما يمكن أن يقال في هذه الرسالة أنها شاقة ؛ أنها تتطلب من الأديب إيمانا صادقا بالقضايا التى يعالجها وروحا مثالية ؛ وشجاعة أدبية في إتخاد المواقف ؛ وفي الدفاع عنها وعمقا في التفكير يمكنه من مواجهة المشاكل والقضايا بالنجاح وقوة ؛ وبقدر ما تتوفر هذه الشروط في الأديب يقدر ما يوفق هذا الأديب في رسالته.

ب – الإبراهيمي والإلتزام :

" إن ميزة الإلتزام تحدد للباحث وجهة إتجاه أدب الإبراهيمي بأسره ؛ إذ أن المتتبع لكتاباته يجدها هادفة وراء غاية وهي غاية ذات قيم وأبعاد إجتماعية وسياسية وفكرية وحضارية "[1] فإذا كان الإلتزام بقضايا الأمة من أبرز ما يجب أن يتصف بهذه الصفة من رجال الإصلاح ...لقد قدّم لأمته الإسلامية ؛ و لأمته العربية و لوطنه الجزائر جهودا كبيرة ؛ و أنفق عمره جهادا بالقلم و بالنفس ومات ميته صامتة صابرا محتسبا بعد أن بح كلامه موجها ومرشدا ..... وقد أولى الإبراهيمي الحركة الإسلامية والعربية في الجزائر ما أولى من نصوص ؛ و أولى الشعوب الإسلامية والعربية ما أولى من مواقف و التفاتات ؛ كشعب باكستان المسلم وشعب مصر و ليبيا ؛ وشعب تونس والمغرب .

[1] - محمد عباس ؛ البشير الإبراهيمي أديبا (ماجيستير) ص 335 .

ج – قاعدة الإلتزام بالنزعة العقلية وإستخدام القواعد المنطقية :

إن ثقافة الإبراهيمي الإسلامية و خاصة في علمي المنطق و الأصول وهما العلمان اللذان يضبطان التفكير عند الإنسان ويعملان على إيجاد القواسم المشتركة بين المنظرين والمفكرين ؛ والمتناقشين والمتحاورين ؛ ويكونان اللغة المتبادلة بينهم ؛ جعلت معالجاته حافلة بالقواعد المنطقية التي ينزل عندها كل ذي عقل سليم .

فهو كثيرا ما يتحدث عن علاقة مابين الأصول والفروع "وأي عاقل لا يدرك أن الأصول مقدمة على الفروع "[1] .

ويتحدث عن العلاقة بين الشرط والمشروط " ولا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس ولغة ودين وتقاليد صحيحة وعادات صالحة ؛ وفضائل جنسية أصلية ؛ وبتصحيح عقيدتها وإيمانها بالحياة وبتربيتها ... وترى أن وجود تلك المقومات شرط لوجودها فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط "[2] .

مثال : أتمثله مقبلا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع .

– أتمثله مجتع الأشد على طراوة العود ؛ يعيد المستمر على ميعة الشباب .

– أتمثله حنيفا فيه بقايا جاهلية .. يدخرها ليمقاتها ويوزعها على أوقاتها يرد بها جعل الجاهلين .

ويتصل بالنزعة المنطقية أنه كان حريصا على أن يجمع في دراساته ومقالاته بين الجزيئات والكليات ... يستخدم الجزيئات لأنها سهلة على الفهم ؛ قريبة التناول ؛ متصلة بالأبحاث نابعة منها ..ثم يسوقها ليكون منها الكليات التى يعمل على تثبيتها ولعلى ما يتصل بهذه

النزعة المنطقية كذلك قدرة البشير على أن يستغل التناقضات بينه وبين خصمه أروع إستغلال وأن يوظفها توظيفا محكما لمصلحة الفكرة التى يدعو إليها فيشكل بأسلوبه الفذ القضية على النحو الذي يؤدي إلى التسليم له بها .

[1] - شكري فيصل : مجلة الثقافة ؛ الجامعة الإسلامية ؛ قسم الدراسات العليا ؛ المدينة المنورة ؛ ص 182

[2] - المرجع نفسه ؛ ص 183

ب – بين النزعة الخطابية والعقلانية :

هذه وقفات سريعة عند القواعد الفكرية التى كان الإبراهيمي يأخذ بها نفسه في معالجته للقضايا التى كان يتناولها .

وواضح أن ما عرف عن البشير من قدراته الخطابية ونبرته التى لا تجاري في خطبه ؛ و مقدرته البيانية التى كانت تدفعك إلى أن تتخيل حين كان يتحدث إلى الناس أنك أمام حكيم من الحكماء العرب وخطيب من خطبائهم .

وفي تقديري ؛ وفي تقدير الذين عرفوا الإبراهيمي في الميدانين جميعا ؛ أنه لم يكن خطيبا وحسب ؛ بالمعنى الذي تغلب على الخطب والخطباء ؛ ولكنه كان مع ذلك وإلى جانب ذلك مفكرا من الطراز الأول .. وكان مفكرا يحترم نفسه وعقله وفكرته ودعوته ؛ فيتجنب التناقض والزلل ؛ ويمضي في أثاره كتابية ضمن قواعد جعلته كاتبا له قضاياه الفكرية الأصيلة التى توقف عندها يدعوا إليها ويبشر بها ؛ وله منهجه الفكري الذي يتميز به حين يطرح عليه القضايا ويدلل عليها .

وتبدو قيمة الإبراهيمي في هذا النحو حين نلاحظ أننا نقرأ مقالاته الأن بعد نحو أربعة عقود فنشعر كأننا نقرأها للمرة الأولى ..إن أسلوبه قادر على استحضار ما يحدث عنه دائما ؛ وعلى تمثله وإدارة النقاش حوله في حياة وحركة لا تتوفر إلا لقلة من الكتاب العربية .

ج – الإستمداد من التراث " الإقتباس والتضمين وما يتصل بهما :

من ملامح الأسلوب عند الإبراهيمي الإقتباس والتضمين ؛ والإستمداد من التراث والإفادة من الثقافة القرآنية وتحلية أسلوبه بها ؛ خاصة بألفاظ القرآن وتراكيبه ؛ و الحديث الشريف وبلاغته ؛ وهذا بالإضافة إلى الثقافة الأدبية الشعرية والنثرية والقصصية والثقافية الإسلامية بعامة وما أكثر ما نجد عنده من أثار ذلك ؛ لا يتكلفه ولا يتصيده ولكنه ينتثال عليه ويجري مع قلمه ؛ فلا تحس بشيء من جفوة ولا شيء من قلق ؛ وإنما ينزل الكلام منسابا في نحو منزله الذي كان يستنار منه .

" أتمثله واسع الوجود ؛ لا تقف أمامه الحدود ؛ يرى كل عربي أخا له ؛ أخوة الدم ؛ وكل مسلم أخا له ؛ أخوة الدين ؛ أتمثله بانيا لوطنه على خمس لما نبنى الدين قبلها . أتمثله محمدي الشمائل ؛ غير صخاب ولا مغتاب ولا سباب ؛ مقصور اللسان إلاّ عن دعوة إلى الحق ؛ وفي قوله كذلك لا تنطوي أحناؤه على بغض ولا ضغينة . .

فتح فكره على عظمة الكون فاهتدى بها إلى عظمة المكون ؛ فإذا كل شيء في الكون جليل لأنه من أثر يد الله "[1] وقد أعانت البشير ثقافته الإسلامية على أن تكون أحداث التاريخ الإسلامي ووقائعه ماثلة في دهنه ؛ يستخدمها ويستثمرها فيما يريد أن يتحدث عنه . حيث أنه في جل أثاره كان كثير التحرك سريع الإنتقال بين الماضى والحاضر.. فهو معك في يومك الذي تعيشه ؛ وحدثك الذي تعانيه ..ولكنه لا يلبث أن يرجع بك إلى الماضي الذي هو موضوع اتفاق ليعود لك من جديد إلى الحاضر ؛ ثم يأخذ يقايس بينهما للبرهنة على ما يريد أن يصل إليه .

والثقافة التاريخية للإبراهيمي لا تقف عند حدود تاريخ العرب والإسلام القديم .. إذ كانت له وقفات واستشهادات بمراحل وظواهر من تاريخ الشعوب الأخرى التى ظهرت على مسرح الحياة الإنسانية قبل الإسلام وفي العصور الإسلامية ..كما كانت له كذلك هذه الإحاطة الدقيقة بأوضاع العالم الإسلامي والمسلمين المعاصرة .

الإستمداد من الشعر العربي :

لقد نال الشعر عند الإبراهيمي مرتبة ومكانة مرموقة بحيث أنه كان يوظف ويقتبس الشعر في أغلبية أثاره ومن خلال درستنا لخطبته التى ألقاها البشير الإبراهيمي للشباب الجزائري وجدنا فيه نصيب للشعر العربي فنجد منها :

أُحِبُّ اَلْفتَى يَنْفِي اَلْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ * * * كَأَنَّ بِه مِنْ كُلِ فَاحِشَةٍ وَقَرا

وفي موضوع أخر نجده متجلى هكذا :

[1] - خطبة البشير الإبراهيمي ؛ جريدة البصائر ؛ نشرت في العدد 5 ؛ عام 1947م .

وأهوى منه ما يهوى المتنبي

وَأَهْوَى مِنْ اَلْفِـتيَانِ كـُلَ سَمَيْذَغَ *** أَرِيبُ كَصَدْرِ السَّمْـهَرِيُ اَلْمقُـوِمِ

خَطَتَ تَحْتَهُ اْلعَيشُ اَلْفُلَاةُ وَخَالْطَتَ *** بِهِ اَلْخَيَلُ كُبَاتَ اَلْخَمِيسِ اَلْعَرَمْرَمِ

قائمة المصادر والمراجع :

*** القرآن الكريم .**

أ- المصادر :

1- أثار محمد البشير الإبراهيمي ؛ بجميع أجزائه .

2- محمد البشير الإبراهيمي ؛ أنا ؛ الثقافة مجلة تصدر كل شهرين ؛ المؤسسة الوطنية للفنون ؛ وحدة الطبع المتعددة ؛ ورشة أحمد زبانة ؛ الجزائر ؛ 1985 م .

ب- المراجع :

1- محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر ؛ بيروت ؛ دار الطليعة ؛ 1982 م .

2- فرحان بدري الحربي : الأسلوبية في النقد العربي الحديث ؛ دراسة في تحليل الخطاب بيروت ؛ ط 1 ؛ 2003 م .

3- سامية أحمد : التحليل البنيوي للسرد ؛ مجلة المستقبل العربي ؛ بيروت ؛ 1991 م .

4- عمر بلخير ؛ أحمد ماضي ؛ الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ؛ دار الحكمة للنشر الجزائر ؛ 2009 م .

5- سمير شريف أستيتيه : اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر ؛ اللجنة الوطنية العليا للإعلان ؛ عمان ؛ 2002 م .

6- محمود قاسم : مناهج الإصلاح في الشرق مند أواخر القرن التاسع عشر حتى عصر النهضة المعاصرة ؛ فكرة جمال الدين الأفغاني عن الإصلاح ؛ مجلة الثقافة ؛ العدد 81 .

7- عبد الكريم بولصفصاف : جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 / 1945 م .

8- عمار طالبي : ابن باديس حياته وأثاره ؛ ج 3 ؛ دار مكتبة الشركة الجزائرية ؛ 1969 م

9– تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية [1931 م / 1954 م] دراسة تربوية للشخصية الجزائرية ؛ 75 / 429 .

10– نور الدين سوكعال : الشيخ بيوض ابراهيم ومنهجه في الإصلاح ؛ رسالة ماجستير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ؛ معهد أصول الدين ؛ قسم الدعوة والإعلام قسنطينة ؛ الجزائر .

11– سليم مزهود : مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي ؛ مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ؛ لم تنشر ؛ جامعة منتوري قسنطينة ؛ 2007 م / 2008 م.

12– صالح خرفي : المدارس والمعاهد العليا ودورها في النهضة العربية الحديثة ؛ المجلة الجزائرية للتربية ؛ عدد 04 .

13– أحمد بن نعمان : الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات ؛ دار الأمة الجزائرية ؛ دت ؛ د ط .

14– محمد مسلم : خصوصيات الهوية وتحديات العولمة ؛ دار قرطبة ؛ دت ؛ دط .

15– زكي البحري : دور التاريخ في تشكيل الهوية العربية ؛ مصر؛ دت ؛ دط .

16– عبد الرحمان بدوي : موسوعة الفلسفة ؛ دار النشر ؛ لبنان ؛ ط1 ؛ 1984 م .

17– فاطمة الزهراء كوسة : أزمة الهوية عند الشباب الجزائري ؛ دار الأمة الجزائرية ؛ 2004 م

18– عاطف وصفي : الثقافة والشخصية ؛ دار النهضة العربية ؛ لبنان ؛ دط ؛ 1981 م .

19– محمد ابراهيم عيد : الهوية والقلق والإبداع ؛ دار النشر ؛ لبنان ؛ ط1 ؛ 2005 م .

20– محمد صالح الهرماسي : مقاربات في اشكالية الهوية ؛ المغرب العربي المعاصر ؛ دار الفكر؛ لبنان ؛ دت ؛ دط .

21- الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؛ المجلة الجزائرية للتربية ؛ عدد 04 .

22- السعيد بوبقار : فلسطين في أدب الإبراهيمي ؛ دراسة تحليلية فنية ؛ بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير ؛ لم تنشر ؛ جامعة الإخوة منتوري قسنطينة ؛ 2007 / 2008 م .

23- أبو عمران الشيخ : شخصية البشير الإبراهيمي وأعماله ؛ الثقافة ؛ 1985 م .

ج- المعاجم :

01- ابن منظور : لسان العرب ؛ مادة (خطب) ؛ باب الخاء ؛ دار المعارف ؛ القاهرة تحقيق عبد الله علي الكبير وأخرون .

02- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ؛ دار الكتاب ؛ لبنان ؛ دت ؛ دط ؛ ج2 .

03- الفراهيدي الخليل بن أحمد : كتاب العين ؛ دار احياء التراث العربي ؛ مادة (خطب) .

04- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الشافعي : قاموس المحيط ؛ دار الكتب العلمية ؛ ط1 ؛ بيروت ؛ لبنان ؛ مادة (خطب) ؛ 1999 م .

د- الجرائد :

* جريدة البصائر ؛ العدد 08/05/04؛ عام 1947 ؛ 1949 م .

خاتمة

من خلال دراستنا توصلنا إلى النتائج التالية :

1- لقد قام البشير الإبراهيمي بالإعتناء بأهم طبقة في المجتمع الجزائري والتى كان يرى فيها الدافع لإكمال مسيرة أي أمة للتقدم والتطور وهي طبقة الشباب هذا الأخير يعتبر الركيزة الأساسية والرئيسية لصناعة مستقبل الأمة .

2- يقول الإبراهيمي أن الشباب هم من تقع عليهم مهمة رفع التحديات وردع العدوان .

3- وضع دعامات أساسية لعقل الشباب أهمها : الدين العاصم من الخلل والرذائل والمفاسد ولهذا اعتمدت الجمعية على ثلاثة منطلقات هي : الإسلام ديننا ؛ والعربية لغتنا ؛ والجزائر وطننا .

4- الدعوة إلى اعتناء الأمة بشبابها لأنه اللبنة الأساسية لبناء المستقبل .

5- جسد الإبراهيمي فكرة الهوية إزاء الآخر من منطلق دور هذا الأخير في تحديد الهوية .

6- جماليات الخطبة والنبرة الخطابية التى دفعتنا إلى التخيل أننا أمام حكيم من الحكماء أو خطيب من خطباء العرب الكبار .

7- أخدت المحسنات البديعية والصور البيانية مكانة مرموقة لدى الإبراهيمي فهو يعتبر الريشة والأصباغ هي طريقة التعبير عن قضيته .

الفهرس

مقدمـــة	أ - ب
<u>مدخل</u> الشباب في فكر محمد البشير الإبراهيمي	04 - 13
<u>الفصل الأول</u> * المبحث الأول الخطاب (الماهية والنشأة)	15 - 29
* المبحث الثاني الهوية (الماهية و النشأة)	30 - 46
<u>الفصل الثاني</u> * المبحث الأول الجوانب الشكلية في نص الإبراهيمي	48 - 54
* المبحث الثاني أبرز المضامين في نص الإبراهيمي	55 - 59
الملاحق	61 - 72
الخاتمة	73